

روايات
عصرية
للحبيب

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)

الحقيقة الزرقاء



WWW.DVD4ARAB.COM

RASHID

المناخ
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
الرياض - جدة - مكة المكرمة - القاهرة

١ - العميل الغامض ..

توقّف الرائد (رفعت) ، في ذلك الميدان الأنيق ، في العاصمة القبرصية (نيقوسيا) ، يلتقط بعض الصور الفوتوجرافية ، لأسراب الحمام الرمادية ، التي تحط في اطمئنان ، على الأرضية الرخامية للميدان ، وتلتقط ما يليقها إليها السائحون من حبات الطعام ، في ألفة ودعة ، ولقد بدا له المشهد رائعا رقيقا ، خاصة وأنه لم يكن يعمل هذه المرة ، وإنما يقضى إجازة قصيرة ، تنتهى اليوم ، بعد أربعة أيام كاملة ، حصل عليها بعد شهر من العمل الشاق المتواصل ..

والواقع أنّ (قبرص) بالذات تستهويه ، منذ أدّى إحدى مهماته فيها ، في العام الماضي ، وقد فتنه - آنذاك - بروعة مناخها ، وخضرتها الدائمة ، وإن لم يدر ، وهو يحيا حياة السائحين ، أن هناك من يراقبه ، ويتتبع حركاته في دقة ..

كانا شخصين في الواقع ، أحدهما قصير بدين ، له شعر أسود لامع ، تهذّل خصلاته على جبينه ، والآخر طويل القامة ، عريض المنكبين ، حاذّ الملامح والقسمات ، قصير

الشعر ، وكلاهما يخفى عنيه بمنظار قائم ، والقصير يقول ، وهو يتابع (رفعت) في دقة :

— ها هو ذا الرجل المنشود .

أجابه زميله في حسم :

— أنت واثق من أن معلوماتك بشأنه صحيحة ؟

التفت إليه القصير ، قائلاً في استكبار .

— ومتى كانت معلوماتنا مثار شك يا (جيدو) ؟

غمغم (جيدو) في لهجة تحمل نبرة اعتذار :

— أردت التأكد فحسب ، فالمبلغ الذى نراهن به على هذا

الرجل ، أضخم من المجازفة .

قال القصير فى جدّة :

— إنك تتجاوز حدودك أحياناً يا (جيدو) ، وتنسى أنك

مجرد أداة للتنفيذ ، أمّا عملية الانتقاء والتخطيط ، فهى لنا

فقط .. إن ما جمعناه من معلومات عن هذا الشاب ، يؤكد أنه

الرائد (رفعت) ، من إدارة العمليات الخاصة المصرية ، وهو

هنا فى (قبرص) للسياحة فقط ، وسيستقل طائرة (القاهرة)

فى الثامنة من صباح الغد ... وهذا يجعله الرجل المناسب لنا ...

المناسب تماماً .

جلس (رفعت) فى ذلك الملهى ، الملحق بفندقه فى

(نيقوسيا) يشاهد عرضاً للفرقة الشعبية اليونانية ، الذائعة

الصيت ، قبل أن يسافر فى الصباح الباكر ، وجلس ذلك

الرجل القصير ، الذى كان يراقبه فى الصباح ، عند منصة

البار ، مع شخصين آخرين ، يراقبونه فى اهتمام ، والقصير يقول

لزميله :

— عليكم بمراقبته طيلة الوقت ، حتى ننتهى من مهمتنا ،

ولا أريد أن يغيب عن نظريكما لحظة واحدة ، قبل أن يأتيكما

(جوزيف) ، أو أتصل أنا بكما هاتفياً .

سأله أحدهما مستفسراً :

— وماذا لو حاول الانصراف ، قبل انقضاء الوقت

المحدد ؟

أجابه فى حسم :

— سيكون عليكم إذن أن تعطّلانه ، حتى ولو اقضى

الأمر الحال شجار معه .

بدأت عروض الفرقة الشعبية ، فى نفس اللحظة التى أنهى

فيها القصير عبارته ، وغادر منصة البار ، والملهى كله ،

واستقل مصعد الفندق إلى الدور الخامس ، حيث تظاهر

بالتوجه إلى إحدى الحجرات ، عند مشاهدته بعض رواد
الفندق ، ثم لم يلبث أن انحرف إلى حجرة أخرى ، فور
ابتعادهم ، ودفع بابها في سرعة ، ثم قفز إليها ، وأغلق الباب
خلفه في إحكام ..

ولم يكذب فعل ، حتى التصقت قُوَّة مسدس ، مزودة بكاتم
للصوت ، بجبهته ، فغمغم في صرامة ، دون أن يفقد ذرَّة واحدة
من أعصابه :

— اهدأ يا (جيدو) ... إنه أنا .

أبعد (جيدو) مسدسه ، وأعادته إلى غمده ، قائلاً :

— لقد أتيت مبكراً .

أجابه القصير :

— أردت الاطمئنان بنفسى ... قل لي ... هل أودعت

النقود بالحقيبة ؟

— نعم .

— حسناً ... ذهبت أراها .

أحضر له (جيدو) حقيبة سفر كبيرة ، وفصحها ، ثم دفع
يده في مكان خاص من بطانتها ، وانزع عنها طبقة رقيقة خفية
من الجلد ، يتعدَّر الانتباه إليها بالعين المجردة ، وكشف خلفها

عدَّة رزم من أوراق النقد ، وهو يتسهم في ثقة ، في حين أسرع
القصير يحصي رزم النقد في سرعة ، قبل أن يقول في ارتياح :

— رائع ... خمسة ملايين دولار كاملة .

ثم التفت إلى (جيدو) ، مستطرداً :

— أنت واثق من مطابقة الحقيبة لحقية ذلك الرائد

المصري ؟

أجابه (جيدو) ، وهو يتناول حقيبة أخرى ، ويضعها إلى

جوار الأولى :

— قارن بنفسك .

راح القصير يتفحص الحقيقتين بعين خبير ، ثم لم يلبث أن

ابتسم قائلاً :

— رائع .

ثم أردف في ارتياح ، وهو يدير عينيه إلى (جيدو) :

— يبدو أننا لم نخطئ شيئاً حتى الآن ... الجزء الآتي كله

يتعلق بك وحدك الآن .

تألفت عينا (جيدو) ، وهو يقول :

— سأنفذ المخططة على الوجه الأكمل .

اتسعت ابتسامة القصير ، وهو يقول :

— وستال مكافأة سخية ، إذا ما فعلت .. والآن هيا ..

منغادر حجرة الرائد قبيل عودته .

وبسرعة ، غادر الاثنان الحجرة ، بعد أن انتهت
مهمتهما ...
وبدأت مهمة الشيطان ...

انهمك (رفعت) في تصفّح إحدى المجلات ، وهو يجلس
داخل الطائرة المتجهة إلى (القاهرة) ، والتي تستعد للإقلاع
بعد لحظات ، دون أن ينتبه إلى تلك الفاتنة ، التي احتلت المقعد
الجاور له ، ولم يكده ينتهي من مطالعة الصحيفة ، حتى استرخى
في مقعده ، وأرخى جفنيه ، والطائرة تهمّ بالإقلاع ...
وفجأة ... تساقطت عند قدميه مجموعة من الصور
والخطابات ، هوت من حقيبة تلك الجميلة ، وهي تفتحها
بأصابع مرتعشة ، فأسرع يلتقطها ، ويقدمها لها ، وهو ينتبه
إلى جمالها الفاتن لأول مرة ، فابتسمت هي ابتسامة خلابة ،
وهي تلتقطها من يده ، مغفمة في صوت ملائكي رقيق :
— معذرة ... يبدو أنني مرتبكة بعض الشيء ...
أشكرك ...

وعلى الرغم مما يبدو واضحا عليها من جمال أخاذ ، إلا أنه

لاحظ تلك اللوحة الدفينة من الحزن في ملامحها ، فقال محاولاً
جذب أطراف الحديث معها :
— إنجليزيتك تشوبها لكثة غريبة ياسيدتي ... أنت
قبرصية ؟

أجابته في رقة :

— بل إيطالية ، واسمى (سيلقانا) ... وأنت أيضاً لا تبدو
قبرصياً ، فملاحك شرقية على الأرجح .
ابتسم قائلاً في اعتزاز :
— أنا مصري وكنت أقضى إجازتي في (قبرص)
فحسب .

سيلقانا :

— إنني في طريقى للقاء خطيبي في (القاهرة) .
رفعت :

— أهو مصري أم يقيم هناك فحسب ؟
سيلقانا :

— إنه مهندس فرنسي ، يعمل في إحدى المشروعات
المشتركة ، بين الحكومتين المصرية والفرنسية ... ولقد قررنا
أن نلتقى في (القاهرة) ، لنقضى هناك بضعة أيام ، ثم نسافر

معا إلى (فرنسا) ، لنعقد قرانا هناك ، حيث أسرتانا .

قال مبتسما ، وهو يتطلع إلى جهالها الفتان :

— أعتقد أنه محظوظ للغاية .

ابتسمت ، وهي تسأله :

— وماذا عنك ؟ ... ما عملك بالضبط ؟

رفعت :

— إنه يتصل بالأمن .

سيلقانا :

— أأنت ضابط ؟

رفعت :

— نعم .

سيلقانا :

— لن تعالى من التعقيدات الجمركية إذن ... يقولون إنها

عتيقة في موطنك .

رفعت :

— إنها شائعات فحسب .. موطنى يرحب بالضيوف

دوما ، وإجراءنا الجمركية لا تختلف عن مثيلاتها ، في معظم

دول العالم ، ولا يعانى من التعقيدات سوى المهربين فقط ،

والخارجين على القانون .

سيلقانا :

— ولكن منصبك يتيح لك بعض الاستثناءات حتما .

غمغم في تردد :

— إلى حد ما .

انهمكا في الحديث ، حتى بلغت الطائرة (القاهرة) ،

وعندما غادراها ، كان خلفهما رجل ..

وكان هذا الرجل هو عميل مخبرات (لوتشيا) ...

(چيدو) ...



٢ - حادث مفاجئ..

مدّ (رفعت) يده بجواز السفر ، إلى ضابط الجوازات المختص ، وهو يتسم قائلًا :
- صباح الخير .

ابتسم ضابط الجوازات ، وهو يتناول جواز السفر ، قائلًا :

- أرجو أن تكون قد قضيت وقتًا ممتعًا في (قبرص)
ياسيادة الرائد .

أجابه (رفعت) مبتسمًا :

- شكرًا يا (نبيل) ، كانت رحلة ممتعة بحق .
ختم الضابط جواز السفر ، وأعادته إليه ، فشكره (رفعت) مرة أخرى ، وتوقّف يبحث عن (سيلفانا) بضع لحظات ، ولكنها اختفت كما لو أنها قد تلاشت كالسحر ، فاتجه إلى الدائرة الجمركية ، حيث استقبله مأمورها بالترحاب ، وهو يقول بدوره :

- رحلة سعيدة ياسيادة الرائد .

رفعت :

- اشكرك يا (صبري) ... ألن تلقى نظرة على حقائبي ؟

ضحك مأمور الجمرك ، وهو يقول :

- هذا يخالف التعليمات كما تعلم يا (رفعت) ، فمن

المحظور فتح حقائب الخبايا والعمليات الخاصة ، ما لم ترد تعليمات بعكس ذلك ، وأنا رجل ملتزم كما تعلم .

صافحه (رفعت) ، وانصرف مغادرًا الدائرة الجمركية ،

وهو يحمل حقيته الزرقاء ، دون أن يدرى شيئًا عن محتوياتها السريّة ، وعند وصوله إلى صالة الانتظار ، كانت عينا (جيدو) تابعاة في قلق وتوتر ، وهو يتعجل مأمور الجمرك ، لإنهاء إجراءاته ، حتى لا يفقد أثر (رفعت) ... ولم يكد المأمور ينتهي ، حتى دفع (جيدو) أشياءه داخل حقيته الزرقاء بلا انتظام ، وأسرع نحو (رفعت) ، وهو يحمل في الواقع حقيته الشبيهة بحقيبة الأموال ...

وفي الوقت نفسه ، كان (رفعت) قد لمح (سيلفانا) ،

وهي تتلّفت حولها في قلق وخيرة ، فاتجه إليها ، ووضع حقيته إلى جوار حقيتها ، وهو يقول مبتسمًا :

- ألم يأت خطيبك ؟

قالت وهي تحمل أمارات الانزعاج في ملامحها :

— كان ينبغي أن يكون هنا منذ ساعة على الأقل ... أخشى
أن يكون قد أصابه مكروه ما .

قال (رفعت) بابتسامة مطمئنة :

— لا داعي لكل هذا القلق ... ربما اضطر للتخلف لسبب
طارئ ... أتحملين عنوانه ، أو رقم هاتفه ؟

سيلقانا :

— المشكلة هي أنه قد انتقل من عنوانه منذ أسبوع واحد ،
ولست أعرف عنوانه الجديد .. كنت أعتمد فقط على
حضوره لاستقبالي في المطار .

أجابها (رفعت) ، وهو يشعر بالأسف لأجلها :

— كنت أتمنى مساعدتك ، ولكنني مرتبط بموعد مع
صديق ينتظر في خارج المطار ، ولكن ها هي ذى بطاقتي
الخاصة ، يمكنك الاتصال بي في هذا العنوان ، أو في رقم الهاتف
المدون بها ، وسأبذل أقصى جهدي لمعاونتك ، والبحث عن
خطيبك .

التقطت البطاقة ، وهي تغمغم في ارتباك :

— أشكرك على هذا الشعور الطيب ، ولكن ألا يمكنك
أن تبقى معي بعض الوقت ؟ ... إنني أشعر بارتباك حقيقي .

هم بأن ينطق شيئاً ما ، إلا أن ملاحظتها تبدلت فجأة ،
وتهللت أساريرها ، وهي تلقى بصرها إلى جهة بعيدة ، قبل أن
تلوح بكفها في لهفة وسعادة ، فالتفت (رفعت) إلى حيث
تنظر ، ورأى شاباً وسيماً ، مُشوق القوام ، يندفع إليها ،
وابتسامته تملأ وجهه ، قبل أن يحتويها بين ذراعيه ، هاتفاً :

— سيلقانا !

هتفت (سيلقانا) في سعادة ، وهي تلقى نفسها بين
ذراعيه :

— (أندريه) ! .. كم أقلقني تأخرك !

قال ، وهو يلتقط حقيبتها في لهفة :

— معذرة يا حبيبتي ... لقد تعطلت سيارتي في الطريق .
قدّمت (سيلقانا) له (رفعت) ، قائلة :

— أقدم لك مسيو (رفعت) ... نقد أراد معاونتي ،
عندما رأى كل ما يملأ نفسي من قلق وانزعاج ، عندما تأخرت
أنت ، ولقد ترك هذا في نفسي أثراً طويلاً عن المصريين .

صافحه (أندريه) مبتسماً ، وهو يقول :

— إنني سعيد بمقابلتك يا مسيو (رفعت) .

شدّ (رفعت) على يده ، قائلاً .

— وأنا أيضًا ... لقد أخبرتنى (سيلفانا) عن قرب زفافكما ... أتمنى لكما زواجًا سعيدًا ، يدوم أبدًا .

غمغم الفرنسي ممتًا :

— شكرًا ياسيدى .

تابعها (رفعت) ببصره ، وهما ينصرفان ، وقد أحاط (أندريه) وسط (سيلفانا) بذراعه في حُبٍّ ، والسعادة تظلل ملامحهما ، وأعاد إليه المشهد ذكرى الفتاة التى أحبها ، والتى كان يهيمُ بالزواج منها ، لولا أن اختطفها منه حادث سيارة ، فوق جبل المقطم ، فاكست عيناه بنظرة حزينة ، لم يلبث أن نفضها عن نفسه ، فائلاً :

— من حسن الحظ أننى أعمل بإدارة العمليات الخاصة ، حيث لا وقت للأحزان .

قالها وخرج يقف أمام المطار ، ووضع حقيته أرضًا ، وهو يتطلع إلى ساعته ، مغمغمًا :

— لماذا لم يصل (ممدوح) حتى الآن ؟ ... لقد أخبرنى أنه سيصل فى العاشرة ، وهى ذى العاشرة والربع ، ولم يصل بعد ، وعهدى به دقيق فى مواعيده .

فى تلك اللحظة كان (جيدو) يقترب منه ، حاملاً عدَّة

حقائب ، بينها حقيته هو الأصلية ، وبين شفتيه سيجارة غير مشتعلة ، وتوقَّف أمامه مباشرة ، وهو يقول :

— معذرة ... أأجد لديك ما أشعل به سيجارتى ؟

التقط (رفعت) قَدَّاحته فى بساطة ، ولكن (جيدو) نفخ السيجارة المزيفة فى حذق ، فانطلقت منها قذيفة صغيرة ، أشبه بالدبوس ، وانغrust فى عنق (رفعت) ، الذى مادت به الأرض ، وسقط فاقد الوعي كالحجر ، مما أثار دهشة المارة ، فاقربوا فى جَرَع ، وهم يتساءلون عما حدث ، فانحنى (جيدو) متظاهرًا بفحص (رفعت) ، وانتزع تلك القذيفة الدقيقة من عنقه ، حتى لا يلحظها أحد ، فى نفس اللحظة التى وصل فيها (ممدوح) ، وراح يشق طريقه وسط الزحام ، وقد أدرك بغريزته أن هذا الجمع يلتف حول زميله حتمًا ، ولم يكد يصل إليه ، ويتأكد من أنه على حق ، حتى انحنى يفحص نبضه فى اهتمام ، وهو يهتف :

— ماذا حدث ؟

اقرب منه أحد رجال الشرطة ، وقال فى خشونة :

— اترك لنا هذا الأمر .

أبرز (ممدوح) بطاقته الخاصة فى وجه الشرطى ، الذى

شدلت قسماته على الفور ، وذهبت خشونته ، ليحل محلها احترام بالغ ، و (مدوح) يقول في لهجة أمرة :
— هذا الرجل صديقي ، وأحب أن أعرف ما أصابه بمنتهى الدقة .

أسرع (جيدو) يجيبه :
— لقد سألته إشعال سيجارتي ، ولم يكذ يَخرج قَدَاحته ، حتى أصابته نوبة إغماء مفاجئة .
انتفض رأس (رفعت) في اللحظة ذاتها ، وفتح عينيه في ضعف ، مغمغماً :

— ماذا حدث ؟.. أنت (مدوح) ؟.. كم مضى على فاقد الوعي ؟

غمغم (مدوح) :
— ثلاث دقائق فحسب ، وهذا السيد يقول إنك فقدت الوعي بغتة .

أمسك ساعده ، يعاونه على النهوض ، و (رفعت) يغمغم :

— يبدو أن هذا ما حدث بالفعل .
ناولته (جيدو) حقيته الأصلية ، واستعاد الأخرى التي تحوى المال ، وهو يقول :



ولكن (جيدو) نفخ السيجارة المزيفة في حذق ، فانطلقت منها قذيفة صغيرة ، أشبه بالدبوس ، وانغرست في عنق (رفعت) ..

— هذا لله أنك بخير ... هذه حقيقتك ... أليس كذلك ؟

تناول (رفعت) الحقيبة ، قائلاً :

— بلى ... شكرًا لك ... يؤسفني ما حدث .

تمم (جيدو) مبتسمًا :

— لا عليك ... قد أفلح عن التدخين بعد ذلك .

قالها وتناول حقيبة المال ، وسط الحقايب الأخرى ،
واختفى بين الناس ، في حين سأل الشرطى :

— أيمكننى تقديم المعاونة ؟

أجابه (ممدوح) ، وهو يتأبط ذراع صديقه ، ويتجه به
إلى سيارته :

— شكرًا الأمر لا يستحق ..

ثم التفت إلى (رفعت) ، مستطردًا :

— والآن .. هلاً أخبرتنى بما حدث تفصيليًا ، إنك لم تصب
بإغماء مفاجئ قط .

غمغم (رفعت) فى إعياء :

— الأمر يبدو لى أيضًا محيرًا .. لقد شعرت بألم مفاجئ
فى الجانب الأيسر من عنقى ، وقبل أن أرفع أصابعى إلى موضع
الألم ، سقطت فاقد الوعى .

تناول منه (ممدوح) الحقيبة ، ودفعها فى مقعد السيارة
الخلفى ، وعاونته على الجلوس فى المقعد الأمامى ، ثم جلس هو
خلف عجلة القيادة ، وهو يفكر فيما قاله صديقه ، قبل أن
يقول :

— أقترح أن نذهب إلى الإدارة ، قبل ذهابك إلى
شقتك .. فمن الأفضل أن يعم عرضك على طبيبتنا الخاص ،
لاستكشاف طبيعة الأمر .. ففى عملنا لا يمكننا أن ننظر إلى
الأمر فى بساطة ، مثلما يفعل معظم الناس .
وتنهّد فى عمق ، ثم أردف :

— لسوء حظنا .

وانطلق بالسيارة إلى إدارة العمليات الخاصة ..

شعر (رفعت) بحاجته الماسة إلى الراحة ، عند عودته إلى منزله في المساء ، بعد أن قضى يومه ما بين السفر ، والحادث الغريب في المطار ، والتحليلات الطبية ، وحصار الأسئلة والاستفسارات في الإدارة ، فأخذ يعد لنفسه حمامًا دافئًا ، ويمشيها بنوم ددئ في فراشه الوثير .. ولكنه لم يكد يفتح حقييته ، حتى تبخّرت تلك الأمنية ، وغيرها من الأمنيات من رأسه ..

لقد كانت الحقيبة تحوى ملابس أخرى ، بخلاف تلك التي عاد بها من (قبرص) ، إلى جانب انه قد أنتبه بغتة إلى أن شقته ليست كمعهده بها ، وأن يذا قد عبث بمحتوياتها ، وبعثرت صوان ملابسه الخاص ..

وقبل أن يتخذ (رفعت) أية خطوة ، أناه صوت من خلفه ، جعله يلتفت في حركة حادة ، فوجد نفسه وجهًا لوجه ، أمام (جيدو) ، الذى يصوب إليه مسدسه ، قائلاً : — معذرة أيها الرائد .. كنت أتمنى ألا نلتقى قط ، بعد حادث المطار ، ولكن يبدو أنك تصر على لقاء آخر

هتف (رفعت) فى غضب ودهشة :

— لقد تذكرت الآن .. عندما طلبت منى إشعال سيجارتك ، انطلق وميض من مقدمتها ، وبعدها شعرت بالألم ، وفقدت الوعي .. اللعنة !!.. كانت قذيفة مخدّر .. أليس كذلك ؟

تتم (جيدو) فى برود :

— بلى .. لقد استبدلت أيضًا حقيبتك اللعينة فى قبرص ، بحقيبة أخرى مشابهة ، واستعدت حقيبتى منك فى مطار (القاهرة) ، بعد أن فقدت وعيك ، ولكنها لم تكن تحوى ذلك المال فى داخلها .. أين هو إذن ؟

هتف (رفعت) بمزيد من الدهشة :

— أى مال هذا ؟

هتف (جيدو) فى غضب :

— لا تضيع الوقت فى المهاترات .. إننى أعرف جيدًا من أنت .. هيّا الصبح تلك الحقيبة فوق فراشك ..

فصح (رفعت) حقييته الزرقاء ، وأخرج كل محتوياتها ، ثم تراجع بناءً على أوامر (جيدو) ، الذى اقترب من الحقيبة ، وهو يصوب إليه مسدسه ، وراح يفحصها فى لهفة ، قبل أن يهتف فى خنق :

— لا توجد جيوب سرّية ... لم يحدث أى خطأ .

ثم التفت إلى (رفعت) ، هاتفاً ، غضب :

— أين الحقيرة الأصلية ؟ ... أجب أو أقتلك .

أجابه (رفعت) فى هدوء :

— لو أنك تصرّ ، فهامى ذى هناك ..

وأشار بيده إلى طرف سريرى ، مما دفع (جيدو) إلى أن يلتفت إلى حيث أشار فى هفّة ، ومنح (رفعت) لحظة واحدة ، أجاد استغلالها بطبيعة الحال ، وبطبيعة عمله فى إدارة العمليات الخاصة ، فانقضّ على (جيدو) ، الذى انتبه إلى الخدعة متأخراً ، فأدار قوّة مسدّسه مرّة أخرى إلى (رفعت) ، الذى أمسك معصمه ، ورفع يده بالمسدس إلى أعلى ، فركله (جيدو) فى معدته ركلة قويّة ، احتملها (رفعت) فى بسالة ، وهو يلوى ذراع خصمه خلف ظهره ، ويجبره على ترك مسدّسه ..

ولكن (جيدو) لم يكن ممن يستسلمون فى سهولة ..

لقد كان محترفاً ..

ولقد دار على غيّبه فى مهارة ، وغاص بمرفقه فى صدر (رفعت) ، فدفعه إلى الخلف ، ثم هوى على فكّه بلكمة قويّة ،

وأعقبها بأخرى ، تفادها (رفعت) فى خفّة ، وكال لخصمه لكمة صاعقة ، وقفز محاولاً التقاط مسدّسه ، ولكن (جيدو) عاجلة بركلة قويّة ، دفعته إلى الخائط ، وعاد ينقضّ عليه من جديد ..

وفى نفس اللحظة ، كان (ممدوح) يوقف سيارته أمام منزل (رفعت) ، وقد عاد ليلتقى به ثانية ، بعد ساعة واحدة من فراقهما بالإدارة ، بعد أن أقالقه أن جاء تقرير المعمل الطبى مؤكّداً وجود آثار مخدر قوى فى دماء (رفعت) ، يرجع إليها سبب فقدانه الوعي ، مما جعل (ممدوح) يسترجع كل ما أخبره به (رفعت) فى المطار ، ويستنتج فى بساطة أن ذلك الرجل ، الذى أراد إشعال سيجارته ، كان يحمل واحدة من قاذفات المخدرات ، التى يملكون مثلها فى الإدارة ، والتى تشبه السيجارة فى مظهرها ، ولكنه كان يتساءل ، وهو يصعد إلى حيث يقيم زميله ، وحتى وهو يتوقّف أمام باب شقته ، عن السبب الذى دفع ذلك المجهول إلى تخدير (رفعت) ..

وفجأة .. تناهت إلى مسامعه الحساسة أصوات العراك داخل شقة (رفعت) ، فأسرع يفتح بابها بوسيلة خاصّة ، لقنوه إيّاها فى الإدارة ، واندفع إلى الداخل ، ليجد زميله ملقى

أرضًا ، والدماء تنزف من وجهه ، وخصمه (جيدو) ينحنى
لالتقاط مسدسه ، وقد أنهكه الصراع مع (رفعت) ..

ورثب (ممدوح) نحو (جيدو) ، وأحاط وسطه
بذراعيه ، وتدحرج الاثنان أرضًا ، وهما يتقاتلان في شراسة ،
حتى أنهى (ممدوح) القتال بلكمة كالقنبلة في فك خصمه ،
أفقدته الوعي ، ثم أسرع يلتقط المسدس ، ويدسه في جيبه ،
ويسرع نحو زميله ، فيمسح الدماء عن وجهه ، مغمغمًا :
— يبدو أن الأمر ليس بالخطورة التي تصوّرناها .. قل لى :

أليس هذا هو رجل المطار ؟

هز (رفعت) رأسه إيجابًا ، وهو ينهض في إعياء ، فاستطرد
(ممدوح) :

— هناك علاقة بينه وبين ذلك المخدّر ، الذى وجدته
التحليلات فى دمك إذن ؟

قبل أن يجيب (رفعت) ، كان (جيدو) قد استعاد
وعيه ، وقفز واقفًا على قدميه ، واندفع يعدو نحو الشرفة ،
فاندفع (ممدوح) خلفه ، ولكن (جيدو) قفز متعلقًا بجبل
يتدلى من سطح المنزل ، كان من الواضح أنه قد استخدمه
لدخول الشقة ، فقفز (ممدوح) يتعلق به بذوره ، إلا أن

(جيدو) كان يتسلق الجبل فى سرعة وخفة قرد مدرب ، ولم
يكده يصل إلى السطح ، حتى انتزع الخطّاف الذى يثبت
الجبل ، وألقى به هاتفا :

— الوداع أيها المصرى .. الوداع ..

ووجد (ممدوح) نفسه يهوى من حاليق ...

فى محاولة يائسة ، منحتها العناية الإلهية قوة المعجزات ،
مدّ (ممدوح) يده فى اللحظة الأخيرة ، وتعلق بحاجز شرفة
(رفعت) ، وتشبّث به فى قوّة مستعيذا توازنه ، فيما كان
(جيدو) يعدو مبتعدًا ، قافزًا من سطح إلى آخر ، حتى اختفى
تمامًا .

وعندما صعد (ممدوح) إلى الشرفة ، كان يعلم أن الأوان
قد فات ...

وأنهم قد خسروا جولة مع خصمهم ..
وكان الخصم نفسه .. بل والمباراة كلها مجرد مجهول ..
مجهول مخيف ..

٤ - الحقيبة المفقودة ..

ألقى (جيدو) جسده في إعياء ، فوق فراشه بفندقه ، وهو يشعر بالحنق لما حدث ، ويتحسّس في سَخَط تلك الخدمات والجروح ، التي سببت لها لكدمات (رفعت) و (ممدوح) ، وإن شعر بأن الأمر قد انتهى إلى نتيجة معقولة على أية حال ، إذ كان من الممكن أن يصيبه ما هو أسوأ ، لولحق به (ممدوح) ..

قبل أن يهنأ بتلك النتيجة المتعادلة ، التي انتهى إليها تفكيره ، أضيئت حجرته بغتة ، فقفز من فراشه في تحفّز ، وتطلّع في توتر إلى رجل قصير ، عريض المنكبين ، كثّ الشارب ، جلس على المقعد المواجه للفراش ، وهو يضع إحدى ساقيه فوق الأخرى ، ويخديجُه بنظرة ثابتة ، قائلاً :

— مرحباً بك في (القاهرة) يا (جيدو) ... لقد تأخرت في الحضور إلينا طويلاً ، فرأينا أن نأتى نحن إليك .

نقل (جيدو) بصره إلى رجل نحيل طويل ، أسمر البشرة ، يرتكز بكتفه على الجدار ، ويعبث بمسدّس مزوّد بكاتم للصوت ، على نحو يوحي بأنه لن يتردّد قطّ في استخدامه ، وسمع القصير يستطرد في هدوء :



ولم يكد يصل إلى السطح ، حتى انتزع الحُطّاف الذي يثبت الخيل ، وألقى به هاتفاً : — الوداع أيها المصري ..

— يمكنك أن تبقى مسترخيًا يا (جيدو) .. لا تقلق نفسك
بواجبات الضيافة .. فلقد أتينا لتسلم ما يخصنا فحسب ، وليس
لإزعاجك .

بدا على (جيدو) أنه يسترجع ملامح الرجل في ذاكرته ،
قبل أن يهتف :

— أنت (جيسون) .. أليس كذلك ؟

أجابه الرجل بنفس الهدوء :

— هذا صحيح .. وذلك الرجل هناك من أشرس رجالنا ،
ويُدعى (أسدى) .. والآن .. هل أحضرت النقود ؟
تلعثم (جيدو) ، وهو يقول :

— ليس بعد .. لقد طرأت بعض التعقيدات و .. وفقدت
النقود و

اعتدل (أسدى) في مكانه على نحو حاد ، وأحاطت
أصابعه بمقبض المسدس في قوة ، في حينبقى القصير
(جيسون) هادئًا ، وهو يقول :

— عجبًا يا (جيدو) ! .. لقد راقبك بعض رجالنا في

المطار ، وأكدوا أنك قد أتممت عملية استبدال الحقائق مع
الرائد المصرى في براعة !
أجابه (جيدو) في توتر شديد :

— لقد فعلت ، ولكن الحقيقة التى حصلت عليها منه ، لم
تكن نفس الحقيقة التى أودعنا فيها الملايين الخمسة .. لقد كانت
حقيقة ثالثة مشابهة للآخرين .

وهنا تخلى (جيسون) عن هدوئه ، وهب من مقعده هاتفًا
في غضب ، وهو يجذب إليه (جيدو) في غلظة :

— إذن فما أبلغتنا به مخابرات (لوتشيا) صحيح .. أنت
أردت الاستيلاء على المبلغ لنفسك .

هتف (جيدو) ، وهو يختلس النظر إلى المسدس في قبضة
(أسدى) :

— لم أفعل .. أقسم لك إن هذا غير صحيح .

تضاعفت حدة (جيسون) ، وهو يهتف :

— كفى مراوغة أيها الوغد .. لقد عثر رجال مخابرات
(لوتشيا) على تلك الرسالة ، التى أرسلتها لزوجتك في
(سويسرا) ، وحلّوا تلك الشفرة ، التى اتفقت عليها مع
زوجتك ، وأدركوا كل شيء .

شحب وجه (جيدو) ، وهو يقول :

— الرسالة ١٢ .. ولكن !! ..

قاطعه (جيسون) في صرامة :

— نعم .. تلك الرسالة التي طلبت منها إرسالها ، فور وصولها إلى (سويسرا) ، ونجاحها في الفرار من رقابة المخابرات اللوتشية ، والتي قلت لها فيها إنك تنوى الاستيلاء على النقود ، بعد أخذها من الرائد المصري ، والهرب بها إلى (سويسرا) ، حيث تقضيان ما بقى من أيامكما هناك .
جيدو :

— ليس هذا صحيحًا .. إنه ...

تراجع (جيسون) خطوة إلى الوراء ، دون أن يُفْلِت ياقه (جيدو) ، ثم هوى بقبضته على فك هذا الأخير ، بكل ما يملك من قوة ، وجاءت قبضته في موضع إحدى كدمات (جيدو) ، فأطلق صرخة ألم قوية ، وهتف وهو يرى أن (جيسون) يستعد لإعادة الكرة :

— لا .. لا .. سأعترف بكل شيء .. لقد كنت أنوى الاستيلاء على النقود بالفعل ، والفرار بها إلى الخارج .. ولقد دبرت الأمر مع زوجتي ، لتقوم بتنفيذ ذلك ، بعد أن يتجاوز

المصري الدائرة الجمركية ، بمعاونة وسيط ثالث ، يتصل بالبنوك السويسرية بصلات جيدة .. ولكن الحقيقة التي أخذتها من الرائد المصري ، كانت خالية .. لم تكن تشبه تلك التي أودعها النقود ، سوى في الشكل الظاهري واللون الأزرق فحسب ، ولكنها كانت خالية تمامًا .. صدّقني يا (جيسون) لقد ذهبت إلى شقة ذلك الرائد ، وفتشت كل ركن فيها ، فلم أجد أدنى أثر للحقيقة أو النقود ، ولست أدري كيف اختفت تلك اللعينة .

انزع (جيسون) مُدْبِئته من غمدها ، ولامس بها عنق (جيدو) ، قائلاً في خشونة :

— أنتظر مني أن أصدق تلك القصة أيها الخائن ؟
هتف (جيدو) في هلع ، ونصل المُدْبِئَة يغوص في عنقه :
— أقسم لك إنها الحقيقة .. فُتِش حجري كلها ، ولن تجد دولارًا واحدًا .

صاح (جيسون) غاضبًا :

— أظنني لم أفعل ؟ .. إنك لست من الغباء ، بحيث تخفى مبلغًا هكذا هنا .. ولتعلم أنني أحمل تفويضًا كاملاً بقتلك ، من مخابرات (لوتشيا) ، وما كنت لأترددُ في قتلك دونه ، ما لم تعترف بمكان النقود .

هتف (جيدو) :

— أقسم لك إننى أجهل مكانها .. الرائد المصرى وحده
يدرك أين ..

هَوْتُ قبضة مسدس (أسدى) على مؤخرة عنقه ، فى تلك
اللحظة ، فسقط فاقد الوعي ، و (چيسون) يقول :

— سنعرف كيف نجد المال بدونك أيها الوغد .. اسمع
يا (أسدى) .. سيقى ذلك الوغد رهينة لدينا ، حتى
نستعيد النقود .. أتعلم ماذا ينبغى عليك عمله ؟
أجابه (أسدى) :

— نعم .. سأق بسيارة الإسعاف الزائفة مع
(صخرى) ، ونحمل هذا الوغد ، بتصریح مزيف من شقيقه
الوهمى .

قال (چيسون) :

— عظيم .. وسألحق بكما فور انتهى من اجتماعى مع
القائد ، وتحديد ما سنفعله ، مع ذلك الرائد المصرى .
لم تمض نصف الساعة ، حتى كانت الخطئة تُنفذ بحذافيرها ،
وكان رواد الفندق يتطلعون فى إشفاق إلى رجلى الإسعاف
الزائفين ، اللذين هبطا بحملان جسد (جيدو) على محفتها ،

وانطلقا به فى سيارة إسعاف زائفة ، فيما عدا شخصا واحدا ،
كان يراقب المشهد فى دقة وعناية ، وآلة تصوير دقيقة فى
قداحته تلتقطه فى إحكام ، وبكل التفاصيل ...
وكان هذا الرجل يدعى (ممدوح) ...
(ممدوح عبد الوهاب) ...



٥ — السؤال الغامض ..

انطلق (ممدوح) بسيارته ، يطارِد سيارة الإسعاف الزائفة ، متبعا أثرها في دقة ، غير عالى بإشارات وقواعد المرور ، دون أن ينتبه إلى وجود سيارة أخرى سوداء ، تطارد سيارة الإسعاف الزائفة مثله تماما ، حتى بلغت المطاردة ذلك الطريق ، المؤدى إلى مرتفع جبل المقطم ... وعندئذ تطلع (أسدى) إلى مرآة سيارته الجانبية ، وقال في قلق :

— هناك سيارة صفراء تتبعنا .

أجابه (صخرى) ، وهو يقود السيارة :

— لقد لاحظت ذلك ، منذ غادرنا الفندق .

أسدى :

— أظن أنه لا مجال للمخاطرة ... فلتخلص من هذا

المطارِد السخيف .

ثم التقط بوق اللاسلكى ، وقال :

— (شارك) ... هل تسمعى ؟

أجابه أحد رجلين ، فى السيارة السوداء :

— نعم ... أهنك عقبات ؟

أسدى :

— يبدو أن تلك السيارة الصفراء أمامك تتعقبنا .

شارك :

— لقد لاحظت ذلك ... واصل طريقك ، وسأخلصك

منها ، ومن سائقها .

واندفعت السيارة السوداء ، متجاوزة السيارات

الأخرى ، التى تفصلها عن سيارة (ممدوح) ، حتى حاذتها

تماما ، ومد (شارك) يده من النافذة ، وثبت شيئا ما بسيارة

(ممدوح) ، ثم أسرع يتعد بسيارته ...

ولمح (ممدوح) ما حدث ، فى مرآة سيارته ، وأدرك على

الفور أن هذا يعنى خطرا ما ، فضغط كمّاحة سيارته فى قوة ،

وقفز خارجها ، وانطلق يعدو مبتعدا ، و ...

ودوى الانفجار ...

ابتعدت سيارة الإسعاف فى سرعة ، مستغلة ذلك التوثر ،

الذى أصاب (ممدوح) ، بعد أن اضطر لمغادرة السيارة ، وهو

يعلم أنها الوسيلة الوحيدة السريعة ، لتفادى ذلك اللغم



ولقد نهض محققا ، على الرغم من نجاته من الانفجار ، الذى أطاح
بسيّارته ، وغمغم : — لقد أفلت الأوغاد ..

المفناطيسى ، الذى ألصقه (شارك) بسيّارته ، ولقد نهض
محققا ، على الرغم من نجاته من الانفجار ، الذى أطاح
بسيّارته ، وغمغم :

— لقد أفلت الأوغاد .

ثم أضاف فى حسم :

— ويبدو أن الأمر أخطر مما كنّا نتوقع ... أخطر كثيرا .

طرق (ممدوح) باب حجرة رئيسه اللواء (مراد) ، ثم
ذَلَفَ إليها ، وتطلّع إلى رئيسه الذى يجلس خلف مكتبه ، وأمامه
(رفعت) ، ودعاه اللواء (مراد) إلى الجلوس ، إلى جوار
(رفعت) ، وقال :

— على الرغم من إفلات السيّارة ، إلّا أن تلك الصور ،
التي التقطتها قدّاحتك ، كانت ذات فائدة عظيمة لنا .. إذ
أمكننا بواسطتها تعرّف هويّة المختطفين .

ودفع الصور إلى (ممدوح) ، مستطرّدا :

— ذو الشارب الكث هو (جيسون) ، وهو أحد أفراد
تنظيم إرهابى خطير يعمل لحساب دولة (لوتشيا) المعادية ،
ويستهدف إثارة القلاقل والاضطرابات داخل (مصر) ، عن

طريق تنفيذ بعض المخططات الإرهابية ... ولقد هرب من هنا منذ عدة سنوات ، ولكنه عاد ليواصل عملياته القذرة ... أما الطويل ، فهو (أسدى) .. مهرب مخدرات ، ألقى القبض عليه منذ عشر سنوات ، وسجن هنا ، وأفرج عنه منذ عام واحد فقط ... وقد يشير هذا إلى وجود صلة مباشرة ، ما بين ذلك التنظيم الإرهابي ، الذي يتزعمه شخص يطلقون عليه اسم (القائد) ، وتجارة وعهيب المخدرات .

قال (ممدوح) في اهتمام :

— بقي ذلك الذي اعتدى على (رفعت) .

أجابه (رفعت) .

— تقول إدارة الجوازات إنه يُدعى (روسوس) ، وأنه قبرصي الجنسية .

أضاف اللواء (مراد) :

— ليس هذا صحيحًا بالقطع ، فتحريّاتنا في (قبرص) أثبتت أن الجواز زائف ، وأنه لم يصدر هناك بصفة رسمية ، وفي نفس الوقت تؤكد معلوماتنا أن نائب رئيس المخابرات اللوتشية (رماحي) ، قد تواجد في (قبرص) منذ أيام ، وأنه كان في المطار ، عند إقلاع طائرة (رفعت) ، وهي تحمل ذلك

الرجل ، والأرجح — طبقًا لذلك — أنه أحد عملاء مخابرات (لوتشيا) .

رفعت :

— لقد سألتني عن حقيقة تحوي نقودًا ، وقال إنها تشبه حقيبتى ... وإن عملية استبدال الحقيبتين قد بدأت في (نيقوسيا) ، وانتهت هنا ، ولكن حقيقة النقود اختفت بين المرحلتين .

اللواء (مراد) :

— لقد اعتمدوا على اجتيازك الدائرة الجمركية دون تفتيش ، نظرًا لطبيعة عملك ... ووضعوا لخطتهم لاستبدال الحقائب خارج المطار ، عندما تقع تحت تأثير المخدر ... ولقد تم كل شيء كما خططوا له تمامًا ، فيما عدا أنهم قد فقدوا الحقيقة الأصلية .

ثم التفت إلى (ممدوح) ، قائلاً :

— هل يمكنك الربط بين كل هذا ؟ ... تنظيم إرهابي ، وعميل لـ (لوتشيا) ، وحقيقة تحوي كمية ضخمة من النقود ، وعملية خطف للعميل ، بواسطة التنظيم ... هل يمكنك الربط ؟

صمت (مدوح) برهة مفكراً ، قبل أن يقول :
 — أظن الصلة واضحة ياسيدى ، والقصة يمكن ترتيبها على
 النحو التالى : لقد وضعت مخبرات (لوتشيا) لحطتها اعتماداً
 على وجود (رفعت) فى قبرص ، واستغلوا طبيعة مهنته ،
 ومرور حقائبه بالجمارك بلا فحص ، لتهرب ذلك المال إلى تلك
 المنظمة الإرهابية ، التى تعمل لحسابهم هنا ... وكان دور
 عميلهم يقتصر على استعادة الحقيبة والنقود ، بعد اجتياز
 (رفعت) للدائرة الجمركية ، ومنحها لرجال المنظمة .
 لاستخدامها فى تمويل عمليات شراء الأسلحة ... ولكن
 العميل فوجئ بأن الحقيبة قد اختفت ، فجئ جنونه ، وراح
 يفتش شقة (رفعت) ، وهذذه محاولاً إجباره على الاعتراف
 بموضع الحقيبة الأصلية ... ويدو أن رجال المنظمة الإرهابية
 قد شعروا بالقلق بدورهم ، لعدم تسلمهم المبلغ ، ويدو أيضاً
 أنهم قد ارتابوا فى عميل (لوتشيا) ، فاختطفوه ليؤح ضم
 بمكان النقود .

قال اللواء (مراد) فى إعجاب :

— هذا هو الترتيب المنطقى بالفعل ... أحست صنعاً
 بالاتصال بشرطتى السباحة والجوازات ، وبتحديد ملامح ذلك
 العميل ، بمعاونة (رفعت) ... إذ أفادنا ذلك فى التوصل إليه

فى سرعة ، مما أتاح لك التقاط الصور ، وتعقب سيارة
 الإسعاف الزائفة ... ولكننا مازلنا أمام ذلك السؤال
 الغامض : أين ذهبت حقيبة النقود الأصلية ؟
 مدوح :

— ربّما تم الاستيلاء عليها فى (قبرص) ، قبيل سفر
 (رفعت) ، أو فى مطار (لارناكا) فى أثناء شحن الحقائب
 فى الطائرة !

اللواء (مراد) :

— ربّما هذا أو ذاك ... فقد يكون هناك ، بين رجال
 مخبرات (لوتشيا) ، من يعمل لحساب نفسه ، فدبر
 للاستيلاء على الحقيبة ، وإبدالها بأخرى ، قبل السفر إلى
 (القاهرة) .

تألّقت عينا (رفعت) بغتة ، كما لو أن خاطراً قد قفز إلى
 عقله ، وطرق إصبعيه هاتفاً :

— هناك احتمال آخر .

حوّل (مدوح) واللواء (مراد) اهتمامهما إليه ، وهما
 يتفان فى آن واحد :
 — ما هو ؟

رفعت :

— تلك الإيطالية الحسنة (سيلفانا) .

اللواء (مراد) .

— من (سيلفانا) هذه ؟

رفعت :

— إيطالية تعرفتها في الطائرة ، وقابلتها في مطار

(القاهرة) ، وهي تنتظر خطيبها في قلى ، وشاركتها انتظارها

بعض الوقت ، حتى وصل خطيبها ، وانصرفا معاً ، بعد استقبال

حار .

مدوح :

— وما علاقة ذلك بالأمر ؟

رفعت :

— لقد كانت تحمل حقيبة مشابهة لحقيتي ، وربما تم

الاستبدال لحظة انصرافها مع خطيبها ... فلقد وضعت حقيتي

إلى جوار حقيتها تلقائياً .

مدوح :

— أتقصد أن الاستبدال قد حدث عشوائياً ؟

رفعت :

— لست أظن ذلك ... فلقد تعمّدت الفتاة إجراء تعارف

مفتعل بيننا في الطائرة ، لتجذب انتباهي إليها في المطار ... ولقد

ألقت على عدة أسئلة مريبة ، حول عملي كضابط مصري

وإمكانية مروري عبر الدائرة الجمركية ... ولقد جذبتني جمالها

في الواقع ، حتى أنني لم أنتبه إلى أننا نحمل حقيقتين متجانستين

تماماً .

أدار (مدوح) عينيه إلى اللواء (مراد) ، وقال لي

حسم :

— لقد توصلنا إذن إلى نصف اللغز ياسيدى ... لغز

(الحقيبة الزرقاء) ...



عندما وضع اللواء (مراد) خطته ، كانت تعتمد على شقيين أساسيين ، أولهما : أن يتم التوصل إلى وكر المنظمة الإرهابية ، وإلقاء القبض على زعيمها القائد ... وثانيهما : أن يتم العثور على الحقيبة المفقودة ، ومصادرة ما بها من أموال لصالح الدولة ... وكل ما يعتمد عليه الشق الأول هو الخواص محدود ، بأن رجال المنظمة سيواصلون سعيهم خلف (رفعت) ، في محاولة للعثور على الحقيبة ، بعد أن يستفدوا كل وسائلهم مع (جيدو) ، خاصة وأن الاحتمال الثاني ، بأن استبدال الحقيبة قد تم في (القاهرة) ، هو الاحتمال الأرجح ...

وبناءً على ذلك ، تم وضع (ممدوح) على رأس فريق الرجال ، من المكتب (١٩) ، مع أوامر تقتضى وضع (رفعت) تحت المراقبة ، طيلة الأربع والعشرين ساعة يومياً ، واستخدام عدد من السيارات ، يتم تغييرها مع الوقت ، وكل يوم ، وبحيث تتصل كلها بوحدة تصوير تليفزيونى ، حتى يمكن تتبع سيارة الإرهابيين فور ظهورها ، دون أن تبدو المراقبة واضحة أو ملموسة ...

وعلى مدار يومين كاملين ، ومن داخل تلك السيارة ، التى اتخذها (ممدوح) لنفسه مسكناً ومكتباً ، وهو يراقب منزل (رفعت) ، لم يبدأ أى أثر لسيارة الإرهابيين ...

وفى اليوم الثالث ، توقفت سيارة من نوع (اللورى) ، متوسطة الحجم ، أمام مدخل إحدى البنايات المجاورة لمنزل (رفعت) ، وهبط منها ثلاثة أشخاص يحملون صندوقاً من الورق المقوى ، يحمل رسماً لغسالة ملابس كهربائية ، وتظاهروا بالتعاون فى حمله إلى البناية ، فى حين غادر السائق السيارة ، واستند إلى مقدمتها ، وأشعل سيجارته ، وراح ينفث دخانها ، وهو يراقب إحدى سيارات المكتب رقم (١٩) فى تراخ ...

وصعد الرجال الثلاثة حتى الطابق المقابل لذلك الذى يقيم فيه (رفعت) ، فى البناية المجاورة ، وتلفتوا حولهم فى حذر ، ثم طرق أحدهم باب الشقة ، وهو يشارك زميله فى إخفاء وجوههم بلثام من الصوف الثقيل ، لا تبدو منه سوى العيون .. وعندما فتح صاحب الشقة الباب ، أصابه الفزع ، ودفعه أحد الثلاثة إلى الداخل ، وهو يلصق فوهة مسدسه برأسه ، ويحذره من النطق بكلمة واحدة ، فى نفس اللحظة التى

غادرت فيها زوجته حجرة جانبية ، فأصابها الرعب من
المشهد ، وهمت بالصراخ ، لولا أن أخرستها صفقة قوية على
وجهها ، وفؤوه مسدس التصقت بجبهتها ، فكتمت صرختها في
أعماقها ، وراحت تبكي في انهار ، وهي تتطلع إلى الرجال
الثلاثة في رعب هائل ...

وبسرعة .. أخرج أحد الرجال من الصندوق لوحاً
معدنياً ، جذب من تجويف داخله لوحاً آخر ، أقل سمكاً ، بحيث
أصبح الاثنان عبارة عن لوح واحد بطول ثلاثة أمتار ، وعرض
متر واحد ، حمله مع زميله إلى المطبخ ، في حين بقي الثالث يهتد
صاحب المنزل وزوجته .

وفي المطبخ تعاون اللذان على تثبيت حافة اللوح المعدني عند
حافة النافذة ، وأمالاه حتى أسند طرفه الآخر عند حافة نافذة
مطبخ الرائد (رفعت) ، وأسرعاً يزحفان فوقه ، حتى بلغا
مطبخ (رفعت) ، ودلفا إلى منزله ، واقتحما عليه رذمة
المنزل ، وفاجأه وهو يتابع أحد البرامج التليفزيونية ، فهب من
مقعده ليقاتلها ، ولكنهما شهرا مسدسيهما في وجهه ، وهتف
به أحدهما أمراً :

— لقد جئنا لنصحبك معنا ، وأوامرنا تتضمن عبارة : حياً

أو ميتاً ، ... فلا تبد أية مقاومة ، لو أردت أن تبقى حياً .
تطلع (رفعت) إلى المسدسين المزودين بكاتمى صوت ،
وأدرك أنه لا فائدة من المقاومة في وجودهما ، فلم يحاول أن
يقاوم ذلك المنديل المشبع بالكلوروفورم المخدر ، الذي وضعه
أحد الملتزمين فوق أنفه ، واستسلم تماماً لتلك الغيوبة ، التي
أحاطت بعقله ، فحمله الرجلان ، وعادا يزحفان فوق اللوح
المعدني ، إلى النافذة المقابلة ، وهناك وضعوا (رفعت) داخل
الصندوق ، وخدراً صاحب المنزل وزوجته ، ثم تخلصا من
أغطية الرأس الصوفية ، وحملا الصندوق إلى أسفل ، وانطلقا
به داخل سيارتهم في هدوء .

* * *

ضرب اللواء (مراد) سطح مكتبه بقبضته في خنق ، وهو
يهتف :

— كيف فعلوها ؟ .. كيف أمكنهم اختطافه ، على الرغم
من كل الاحتياطات التي اتخذناها ؟

غمغم الرائد (منير) ، محاولاً تهدئة ثورة رئيسه :
— لقد تمت العملية من خلال المنزل المجاور ، ولقد نفذنا

خُطَّةٌ سيادتك حرفيًا ، ولم نترك ضابطاً معه ، حتى تسهل عملية الاختطاف ، وتتم بحسب الخُطَّة ، وأيًا ما كانت النتائج الآن ، فنحن لن نتخلَّى عن زميلنا (رفعت) ، وسنبش كل رقعة في الكون ، لو اقتضى الأمر ، حتى نجده .

سمع الاثنان في تلك اللحظة طرقات عند الباب ، ثم دخل (ممدوح) ، الذي بدا أكثر من في الإدارة تماسكًا ، وهو يمسك عددًا من الأوراق ، قائلاً :

— لقد تلقيت الآن تقريرًا هامًا من إدارة المخابرات ياسيدى ، عن طريق مكتب تبادل المعلومات ، أظنه سيفيدنا .

تراجع اللواء (مراد) بمقعده ، قائلاً في اهتمام :
— ماذا يقول ؟

ممدوح :

— لقد توصل جهاز مخابراتنا ، عن طريق بعض عملائه في (قبرص) ، إلى أن (رماحى) ، نائب رئيس مخابرات (لوتشيا) ، سيصل بنفسه إلى (القاهرة) متكرًا ... على الطائرة التى تصل فى تمام الواحدة صباحًا .

التقط اللواء (مراد) التقرير فى اهتمام ، وهتف فى دهشة :
— (رماحى) بنفسه ؟! .. كيف خاطرت مخابرات (لوتشيا) برجلها الثانى على هذا النحو ؟

ممدوح :

— ربّما بدا لهم الأمر بالغ الخطورة ، فأرسلوه لمتابعته بنفسه ، أو ليطمئن أفراد المنظمة الإرهابية إلى أنهم مازالوا يَحْظُونَ بتأييد ومساندة (لوتشيا) ، وأيًا ما كان السبب ، فحضوره سيفيدنا كثيرًا ، وسيقودنا إلى الوكر السرى للتنظيم ، وهو المكان الذى يحتفظون فيه بـ (رفعت) حتمًا .
اللواء (مراد) :

— أترى أنه من الأفضل أن نضع (رماحى) تحت المراقبة ، فور وصوله إلى (القاهرة) ، بدلًا من إصدار أمر باعتقاله ؟

ممدوح :

— بل أفكر فى أمر آخر ، فمحترف مثل (رماحى) سيكشف أمر المراقبة منذ الوهلة الأولى ، وقد يدفعه كشفها إلى إلغاء العملية أو التمويه .

اللواء (مراد) :

— ماذا لديك إذن ؟

صمت (ممدوح) لحظة ، ثم ابتسم فى هدوء ، قائلاً :
— لدى خُطَّة ...

ثم راح يشرح لهم خُطَّته فى إحكام ...

٧ - وكر الذئاب ..

وصلت الطائرة القبرصية إلى مطار (القاهرة) ، في تمام
الواحدة صباحاً ، وعلى متنها رجل ممشوق القوام ، يبدو واضح
القوة والحيوية ، على الرغم من شعره الأشيب ، وعمره الذي
يناهز الخمسين ، وعندما غادر المطار ، كانت هناك سيارة
صفراء تنتظره ، وقد جلس النقيب (عدلى) داخلها ، إلى
جوار السائق ... ولم يكذب يلمح الرجل ، حتى أسرع إليه ،
وقال في صوت مرتفع :

— مسيو (فايان) .

كان هذا الاسم الفرنسي ، الذي يحمله (رماحي) في
جواز سفره ، والذي يخفى به حقيقة شخصيته ؛ لذا فقد تطلع
إلى (عدلى) في دهشة ، مغممًا :

— من أنت ؟

لم يجبه (عدلى) على سؤاله ، وإنما أخرج من جيبه قطعة
نحاسية مستديرة ، نُقِشت عليها نجمة زرقاء ، فتأملها
(رماحي) في حذر ، وهو يقول :

— أأوفدتك المنظمة ؟



ولم يكذب يلمح الرجل ، حتى أسرع إليه ، وقال في صوت مرتفع :
— مسيو (فايان) ..

النقيب (عدلى) :

— نعم .. ومهمتى هى أن أنقلك إلى مقر القيادة .

رماحى :

— عجباً !! .. كان اتفاقنا مختلفاً ، فأنا أحمل خريطة تقودنى

إلى مقر القيادة ، ولم يخبرنى أحدهم أنه هناك من سيستقبلنى .

عدلى :

— إنه احتياط أمنى إضافى .

رماحى :

— حسناً .. هيا بنا .

دعاه (عدلى) لركوب السيارة الصفراء ، التى انطلقت

بهما مبتعدة عن المطار ، وعلى مسافة قريبة ، كان هناك شخص

يراقب ما حدث فى غدوائية ، وهو يتظاهر بمطالعة صحيفة ..

وكان هذا الرجل هو (چيسون) :

أمّا (رماحى) ، فقد شعر بالقلق ، بعد نصف ساعة من

انطلاق السيارة ، فراح يتلفت حوله فى انزعاج ، ثم لم يلبث

أن قال لـ (عدلى) :

— إلى أين نذهب .. ليس هذا طريق المقر الموضح

بالخريطة .

عدلى :

— لقد أبدلنا مقر القيادة ، حرصاً على السرية ، وهذا

ما دعاهم لإرسالى إليك ، لأقودك إلى المقر السرى الجديد .

ولكن هذا التفسير لم يقنع (رماحى) ، فقال فى عصبية :

— توقف هنا .. لقد عدلت عن الذهاب إلى المقر .. أخبر

القائد أننى سأحدد موعداً آخر معه ، بعيداً عن المقر .

تجاهل (عدلى) قوله تماماً ، وضغط ذراعاً معدنياً إلى

جواره ، فارتفع حاجز زجاجي بين المقاعد الأمامية ،

والأريكة الخلفية فى السيارة ، وأسدت أستار سوداء على

زجاج النوافذ فى النصف الخلفى للسيارة ، فى حين أرتجت

أبوابها ، فعجز (رماحى) عن فتحها ، على الرغم من قوته

وعصبيته ، حتى انطلق غاز من أسفل باب السيارة الأيسر ،

وتسلل إلى أنف (رماحى) ، فتراخت قبضته ، ولم يلبث أن

غاب عن الوعي ، فغمغم (عدلى) :

— لقد كنت فى حاجة إلى بعض الهدوء بالفعل يارجل .

التفت إليه السائق ، الذى لم يكن سوى الرائد (سمير) ،

الذى قال لزميله :

— لقد كان بعضهم يخومون داخل المطار متكررين ،

ولكن أحدهم بدا لى مألوفاً .

أشعل (عدلى) سيجاره ، قائلاً :

— لابد من المخاطرة ؛ لإنقاذ (رفعت) ، وتنفيذ خطة (ممدوح) .

واصلت سيارتهما سيرهما لنصف ساعة ، حتى توقفت عند الباب الخلفى لإدارة العمليات الخاصة ، فقاما بنقل (رماحى) إلى الداخل ، إلى حجرة تضم (ممدوح) واللواء (مراد) ، وشخصاً آخر ، وأدى (سمير) و (عدلى) التحية العسكرية ، وقال الأول :

— لقد أحضرنا الطرد يا سيدى .

اللواء (مراد) :

— لقد أدتُما دُورُكما كما ينبغي ، وخان دوره هو ليلدى لنا بعض المعلومات ، عما يعرفه عن التنظيم ومقره .

التفت (ممدوح) إلى الرجل الذى يجاوره ، قائلاً :

— وعندئذ سيكون عليك أن تستخدم كل مواهبك ومهاراتك وقدراتك وخبرتك يا دكتور (عماد) ، لتحملنى إلى هذا الرجل ... إلى نائب مدير مخابرات (لوتشيا) .

كانت المعلومات ، التى تم استخلاصها من (رماحى) ، شديدة الأهمية ، ومفيدة لـ (ممدوح) وفريقه ، إذ علموا أن اجتماعات التنظيم تتم فى قُبلاً يملكها رجل أعمال سورى يُدعى (كنعان) ، وأنها تتم فى سرية تامة ، تحت ستار حفلات رجل الأعمال ، كما أخبرهم (رماحى) أن زعيم المنظمة إيرانى ، يُدعى (كسروان) ، متمرس فى العمل الإرهابى ، وأنه يقود المنظمة من الخبىء السرى للقُبلاً ، حيث يعيش منعزلاً عن العالم ، ويتصل بمخابرات (لوتشيا) بواسطة جهاز لاسلكى خاص ، أو عن طريق بعض العملاء ، الذين يتولون أيضاً عملية التمويل ، والإمداد بالأسلحة والذخائر ، اللازمة لعمليات المنظمة الإرهابية ...

وفى ذلك المساء ، عندما استقبلت القبلاً مدعوئها ، فى ملابس السهرة ، كان بينهم (ممدوح) ، الذى أصبح نسخة طبق الأصل من (رماحى) ، كما حضر الرائد (عدلى) ، الذى أمكنه أن يقنع إحدى المدعوات باصطحابه ...

وعلى الرغم من الضُخْب والموسيقى الحاملة ، التى أضفت على المكان فخامة خاصة ، إلا أن واقع الأمر كان يختلف كثيراً ، فباستثناء بعض المدعوين من غير ذوى الأهمية ، الذين بقوا فى

رَذهة القِيْلَا ، و (كنعان) بحاملهم عبارات منمقة ، كان
الباقون ينسحبون خلسة إلى حجرة مجاورة ، حيث يستقلون
مضعدًا سرّيًا في أحد جدرانها ، إلى قاعة فسيحة أسفل القِيْلَا ،
تفصُ بمجموعة أخرى من الرجال ، ومن هؤلاء الرجال كان
(ممدوح) في هيئة (رماحي) ، والجميع يعاملونه باحترام
بالغ ، باعتباره نائب رئيس مخبرات (لوتشيا) حتى فُتح باب
جانبي ، وذُلف منه شخص متوسط الطول ، عريض المنكبين ،
يرتدى منظارًا أسود ، وله لحية سوداء قصيرة ، لم يكد بصره
يقع على (ممدوح) ، حتى اتجه إليه ، وصافحه في حرارة ،
قائلًا :

— مرحبًا بك بيننا ياسيد (رماحي) .. كم أسعدني
حضورك شخصيًا لمقابلتي .

أجابه (ممدوح) :

— ولكنني كنت أظننا سنلتقي بمفردنا .

أجابه زعيم الإرهابيين ، المعروف باسم (القائد) :

— أيزعجك أن تلتقي بمن يعملون لحسابكم ؟

ممدوح :

— كنت أفضل أن نلتقي بمفردنا أولًا ، للتباحث في شأن

التنظيم ، وتلك التطوّرات الأخيرة فيه ، منذ أرسلنا إليكم
عملينا (جيدو) .

قال القائد مبتسمًا في خبث :

— لِمَ لا نناقش صميم الموضوع مباشرة ؟

اعتدل (ممدوح) ، وقال في صرامة :

— حسنًا .. بلغني أنكم تحتجزون الحائن (جيدو) ،

وأحد رجال المكتب رقم (١٩) ، وأنا أريد مشاهدتهما

الآن .. وهذا ليس رجاء .. إنه أمر ..

ابتسم القائد في ذهء ، وهو يقول :

— لا بأس ياسيدي ستشاهدتهما .

وأشار بيده إشارة عابرة ، فأزاح (جيسون) ستارًا عن

منصّة عالية ، تطل على القاعة ، ليكشف عن مقعدين

معدنيين ، قيّد إليهما (رفعت) و (جيدو) ، بأساور معدنية

في معصميهما وقدميهما ، اتصلت بها أسلاك كهربائية ..

وكان هناك مقعد ثالث خالٍ ، والقائد يقول :

— هاهما ضيفانا .

حدّق (جيدو) في وجه (ممدوح) في ذهول ، وهتف :

— هذا الرجل .. إنه .. إنه ...

٨ - قاعة التعذيب ..

رأى صمت رهيب على المكان ، وألجته كل العيون إلى
(ممدوح) ، الذى بدا ثابتاً ، والقائد يقول فى سخرية :
— أهتلك على ذكائك أيها الشاب .. حيلة رائعة وتنكر
ممتاز ، ولكن خطأك الوحيد ، أنت ومن تعمل باسمهم ، أنكم
قد استهنتم بقدراتنا ، وتصوّرتكم أنكم قادرون على خداع
منظمتنا ، التى أعياكم البحث فى التوصل إليها ، وإلقاء القبض
على أفرادها .

قال (ممدوح) فى هدوء :

— لست أفهم ما تعنيه بتلك التمثيلية .

ضحك القائد ، قائلاً :

— ستفهمها مع رؤيتك لتلك التجربة الصغيرة .

ثم أشار إلى (جيسون) ، فضغط زرّاً صغيراً ، فى ظهر
مقعد (جيدو) ، الذى توهّج بحرارة رهبة ، التهب لها جسد
(جيدو) ، فأطلق صرخة رعب هائلة ، وراح يتلوّى فى آلام
مبرّحة ، بدت له (ممدوح) فظيعة مذهلة ، حتى عاد القائد
يشير إلى (جيسون) ، فعاد يضغط زرّاً آخر ، إلى جوار

قاطعه القائد فى حزم :

— أعلم يا (جيدو) .. أعلم ..

ثم التفت إلى (ممدوح) ، مستطرداً فى سخرية :

— أعلم أنه ليس (رماحى) ، بل هو جاسوس ..

جاسوس من المكتب رقم (١٩) .



الأول ، ففلاشت الحرارة ، والقائد يقول لـ (ممدوح) :
— لو انتظرنا دقيقة واحدة ، لعم شيء هذا الرجل حيًا حتى
التفحم ، وهذا هو المصير نفسه ، الذى ينتظر صديقك ،
ما لم يبع لنا بالمكان الذى أخفى فيه حقيقتنا .. ماذا لو نصحته
ببعض التعقل ؟ .. أنت تعلم أن النقود لا تساوى حياة شاب
مثله .

قال (رفعت) فى وهن :
— لقد أقسمت لك من قبل إننى أجهل مكان الحقيقة
والنقود تمامًا .

قال القائد لـ (ممدوح) فى سخرية :
— أرايت كيف هو عنيد مكابر ؟ .. ما رأيك ؟ . أيمكن أن
يصحى من أجلك ؟
ثم أشار إلى اثنين من رجاله ، مستطردًا :
— دُعونا نختبر ذلك .

قبل أن يأتى (ممدوح) حركة واحدة ، أطبق عليه الرجلان
من الخلف ، وشلا حركته تمامًا ، ودفعاه قسرًا إلى المقعد
الثالث ، وكبلاه بالقيود المعدنية ، المتصلة بالأسلاك
الكهربية ، فهتف (رفعت) فى وهن :

— لاجدوى من ذلك ، فكلانا يجهل كل شيء عن تلك
النقود .

قال القائد فى قسوة :
— ربما .. ولكنكم ، أيًا ما كان الأمر مصدر خطر علينا ،
وأمتنا يحتم التخلص منكما ، إن عاجلاً أو آجلاً .
وأشار إلى (جيسون) ، ليضغط زر التشغيل الكهربى
للمقعد ، فتظاهر (ممدوح) بالهدوء ، وهو يقول :
— حسنًا أيها القائد ، دغنى أوجه لك الشكر ، قبل أن
أغادر هذا العالم .. فلقد وفرت لى جهدًا كبيرًا ، كنت سأضطر
لبذله ، لو لم تجعلنى هدفًا للتجربة .. فأنا هنا فى مهمة انتحارية ،
ولقد أحضرت معى قبيلة حرارية تكفى لنسف المكان كله ،
وأنا وصديقى لن نجد خيرًا من التضحية بحياتنا ، لتخليص العالم
من شرورك وشرور منظمتك .. وعندما ترتفع حرارة ذلك
المقعد ، لن أتحوّل وحدى إلى جثة متفحمة ، بل سيكون هذا
مصير الجميع .

بدا القلق على وجوه الجميع ، وأشار القائد إلى
(جيسون) ، كيلا يضغط الزر ، وهو يفهم فى توثر :
— أنت تكذب .

أجابه (ممدوح) في ثقة ، ليطلق الحديد وهو ساخن :
— ليكن .. إننى أكذب ... مَرَّ ذلك الوغد بإشعال النار
في جسدى .

ولكنَّ القائد غمغم في تردّد :
— فتشوا ثيابه ، فلنر ما إذا كان صادقاً أم لا .
ونجحت لحظة (ممدوح) ... لقد كان يحمل شيئاً يشبه
القنبلة بالفعل ، ولكنه مجرد جهاز لاسلكى ، يبدأ فى إرسال
إشاراته فور تحريكه .. ولقد عثر رجال القائد عليها بالفعل ،
وقدّموها إلى قائدهم ، الذى راح يفحصها فى اهتمام وعناية ،
ثم لم يلبث أن ابتسم فى سخرية ، قائلاً :
— يا للسخافة !! .. إنها ليست قنبلة .. إنها مجرد لعبة ..
لعبة أراد بها إطالة حياته فحسب ..

وفى نفس اللحظة راح جهاز استقبال صغير يصدر
إشاراته ، فى جيب (عدلى) ، مثيراً دهشة الفتاة المصاحبة له ،
فأسرع يعتذر إليها ، وينسحب من الحفل ، واقتحم تلك
الحجرة الجانبية ، وانتزع مسدّسه من غمده ، وهو يقفز داخل
المصعد السرى ، ويهبط به إلى تلك القاعة ، ويقتحمها فى نفس
اللحظة التى همّ فيها (جيسون) بضغط زرّ تشغيل المقعد
الكهربائى ، وهتف (عدلى) فى حزم :

— لا يتحرّك أحد منكم أيها السّادة .. وارفع يدك عن
المقعد أيها الرجل ، وإلا أمطرتك بالرصاصات .
ضحك القائد فى سخرية ، قائلاً :
— يبدو أن لدينا ضيوفاً آخرين أيها الزملاء .

قال (عدلى) فى صرامة :
— وسيكتظ بهم المكان بعد قليل ، فلقد تلقت قوّة اقتحام
فيلتك الإشارة نفسها .
غمغم القائد فى دهشة :
— أية إشارة ؟

أجابه (ممدوح) متهمّكماً :
— أنت أرسلتها بنفسك ، وأنت تسخر من تلك اللعبة ،
التي هى فى الواقع جهاز لاسلكى .
حاول أحد الإرهابيين أن يتزع مسدّسه خلسة ، ولكن
رصاصه من مسدّس (عدلى) احترقت يده ، فهتف القائد فى
غضب :
— أنت مجنون .. أتظنك ستقاتل عشرات الرجال بمسدّس
واحد ؟

أجابه (عدلى) فى حزم :

٩ - الصراع الرهيب ..

كان (ممدوح) أسرع الجميع ، فقد قفز من مقعده ، وسحق فكاً أحد الرجال الأربعة بقبضته ، والتقط مسدسه في سرعة ، وأطلق منه رصاصتين سريعتين على رجلين آخرين ، فسقط أحدهما إلى جوار (رفعت) ، الذى انحنى يختطف مسدسه بذوره ، ويؤذى الرابع برصاصته ، ثم اندفع مع (ممدوح) نحو المرايا العاكسة ، وراح الاثنان يطلقان عليها الرصاص ، حتى هشموها ، وأطلق (ممدوح) رصاصة على رأس رجل أراد قتل (رفعت) ، وبدأ تبادل النيران ..

أما القائد ، فقد انتابه الفزع لدى رؤيته إشارات ضوئية ، مصحوبة بأزيز مرتفع ، فوق أحد أبواب القاعة ، فصرخ : — لقد اقتحموا الفيلا ، فلهرب سريعاً .

وانتهز فرصة القوضى ، التى سادت المكان ، فاندفع نحو المصعد ، وقفز داخله ، ولكن (ممدوح) لحقه ، فاندفع نحوه ، ووثب يتعلق بقاعدة المصعد ، عندما بدأ فى الارتفاع ، فراح القائد يضرب على يديه بخذائه ، محاولاً منعه من الصعود ، إلا أن (ممدوح) تشبث فى قوة ، وتمكّن من الإمساك بقدم

— فليبدأ أكثركم جنوباً فى مقاومتي ، ولتر من سينال الرصاصة التالية .

ثم التفت إلى (جيسون) ، مستطرداً فى صرامة : — هيا ، حُل قيود هؤلاء الرجال .

بدا التردد على (جيسون) ، فأضاف (عدلى) فى حدة : — سأمهلك ثلاث ثوان فحسب ، ثم أطلق رصاصة على رأسك ، وسأمحك حق الاختيار .

لم يكذب بعم عبارته ، حتى بدأ (جيسون) يحل قيود (مدحت) و (رفعت) و (جيدو) ..

وفجأة .. ضغط القائد زراً عند قدمه ، فهبطت حواجز من المرايا العاكسة حول (عدلى) ، وعكست الأضواء كلها فى عينيه ، وراحت تدور حوله فى سرعة ، لتشتت رؤيته ، وقدرته على التركيز ، وصرخ القائد : — أطلقوا عليه النار .

وارتفعت قوّهات أربعة مسدسات نحو (عدلى) .. وبدأ الصراع ..

غريمه ، والإحلال بتوازنه ، ليسقط داخل المضعد ، ثم قفز بدوره داخله ، ولكن القائد فاجأه بركلة قوية مؤلمة في ساقه ، ثم أعقبها بلكمة قوية ، ضربت رأس (مدوح) بجدار المضعد ، في اللحظة التي بلغ فيها الطابق الأخير ، فقفز القائد من المضعد إلى سور خلفي للقيلا ، وعبر منه إلى (جراج) خلفي ، حيث استقل إحدى سياراته ، وانطلق بها مبتعدا .. وقفز (مدوح) داخل سيارة أخرى ، وانطلق بدوره خلف القائد ، في نفس اللحظة التي اقتحمت فيها القوة البوليسية القيلا ، ونجحت مع (رفعت) و (عدلى) في حصار أفراد المنظمة بالقاعة السفلى ، وإجبارهم على الاستسلام ، وألقت القبض على الجميع ، بالإضافة إلى (جيدو) ، عميل (لوتشيا) ، ومالك القيلا ، الذي يُعد من أقوى رجال المنظمة ..

وعلى الرغم من السرعة الجنونية ، التي ينطلق بها (القائد) ، إلا أن (مدوح) استطاع اللحاق به ، وفي أحد المنعطقات ، سبق سيارته ، وقطع عليه الطريق ، فراجع القائد بسيارته في سرعة ، ولكن (مدوح) تخلى عن سيارته ، وقفز نحو سيارة القائد ، وتعلق بياها ، ثم ولب **داخليها** عبر نافذتها ، وانقض على القائد ...



فراخ القائد يضرب على يديه بجذائه ، محاولاً منعه من الصعود ،
إلا أن (مدوح) تشبث في قوة ، وتمكّن من الإمساك بقدم غريمه ..

ونشب بين الرجلين صراع رهيب ، حال دون سيطرة القائد على عجلة القيادة ، فاندفعت السيارة على غير هدى ، وانطلقت نحو جدار ضخم ، من الأسمنت المسلح ، ولكن (ممدوح) كال للرجل لكمة قوية ، وأمسك عجلة القيادة في سرعة ، وتمكّن في اللحظة الأخيرة من إيقاف السيارة ، وتجنب الكارثة ، إلا أن القائد انتهر الفرصة ، وقفز خارج السيارة ، وفرّ هارباً عبر الحقول المجاورة ، فقفز (ممدوح) خلفه ، ونحى يجتاز إحدى حظائر الماشية ، فأطلق لساقيه العنان ، محاولاً اللحاق به ، ولكن غريمه فاجأه من خلف إحدى الأبقار ، وشهر في وجهه خنجرًا حادًا ، وقفز محاولاً طعنه في صدره ، فتفادى (ممدوح) الطعنة ، وتراجع في سرعة ، وعندما أراد غريمه معاودة الكرة ، قبض (ممدوح) على معصمه ، وركل معدته في قوّة ، ثم قفز في الهواء وركله في وجهه في عنف .. وترنح القائد ، وهو يتراجع في ألم ، ولكنه لم يتخلّ عن خنجره ، وراح يلوح به في وجه (ممدوح) ، الذي انحنى في سرعة ، واختطف حفنة من العلف ، وألقاها في وجه القائد ، الذي أغمض عينيه ، وحاول أن يزيل ما غلق بوجهه ، فانقضّ

عليه (ممدوح) كالصاعقة ، وأطاح بخنجره بضربة قويّة ، ثم انهال على وجهه بعدة لكمات ألقته أرضًا فاقد الوعي .. واعتدل (ممدوح) ، وشعر بالارتياح في أعماقه .. لقد انتصر .. انتصر في هذه الجولة ..



١٠ — المهمة الأخيرة ..

حلقت الطائرة المصرية ، المتجهة إلى مدينة (أسوان) ،
في سماء القاهرة ، وبداخلها جلس (ممدوح) يتطلع إلى زميله
(رفعت) ، في المقعد المجاور ، في إشفاق ، وهو يشعر بشيء
من تأنيب الضمير ، فقد كان (رفعت) يبدو في حالة سيئة
صحياً ، بعد كل ما مرَّ به من أحداث ، وما واجهه من متاعب ،
وعلى الرغم من ذلك كان (ممدوح) يحتاج إلى وجوده معه ؛
لتعرف تلك الإيطالية الحسنة ، التي استولت على الحقيبة ..
فعلى الرغم من إلقاء القبض على كل أفراد التنظيم الإرهابي ،
وقائده ، ونائب مدير مخابرات (لوتشيا) ، وعميله ، إلا أن
قضية الحقيبة المفقودة لم تحسم بعد ، وما زال على (ممدوح)
أن يتابعها إلى النهاية ، بعد أن أثبتت التحريات أن ذلك المهندس
الفرنسي ، خطيب الفتاة ، قد ترك عمله بالشركة التي تعمل
في (القاهرة) ، وسافر مع زميلته إلى (أسوان) ، حيث أقاما
بأحد الفنادق لثلاثة أيام ، ثم اختفيا دون أن يتركا خلفهما أدنى
أثر ..

وفي تلك الأثناء ، وفي إحدى المناطق النائية ، جنوبي

أسوان ، بالقرب من الحدود السودانية ، توقفت سيارة
(حبيب) أمام منزل عتيق متهالك ، في باطن الجبل ، وهبط
منها رجل أسمر طويل ، قاسى الملامح ، له شارب ولحية غير
مهدئين ، ودفع باب المنزل في قوة ، حيث وجد أمامه
الإيطالية ، وخطيبها الفرنسي ، الذي هبَّ من رقادته في حركة
حادة ، وشهر مسدسه في وجه القادم .. الذي قال :

— لا داعي للانفعال .. إنه أنا .

أعاد الشاب مسدسه إلى جيبه ، وقال في توثر :

— هل حان وقت الرحيل يا شيخ (جاسم) ؟

أشعل الشيخ لفافة تبغ ، وقال :

— مازال الوقت مبكراً .

نهضت الفتاة ، وهي تقول في عصبية :

— ماذا تعنى بأن الوقت مازال مبكراً ؟! .. إننا هنا في

(أسوان) منذ أربعة أيام ، ولقد وعدتنا بالمعاونة على الهرب ،

غبر الحدود المصرية السودانية ، خلال يومين ، فلم

المُطاطلة ، وقد اتفقنا على الأجر مسبقاً ؟

أجابها الرجل في خشونة :

— ليست مسألة أجر .. لقد أخبرتكما من قبل أنها ليست

عملية هينة ، ومن الخُتم أن أختار الوقت المناسب .

قال الشاب متوترًا :

— ومتى يحين هذا الوقت الملام ؟

الشيخ (جاسم) :

— كنت أستعد لتهريبكما الليلة ، ولكن الحكومة تشدد

إجراءات الأمن على الحدود ، ولقد ازدادت قوات الشرطة

على نحو ملحوظ .

قال الشاب في قلق :

— أيعني هذا أنهم يعلمون بوجودنا في (أسوان) ،

وبُخطة هروبنا أيضًا ؟

أجابه الشيخ (جاسم) :

— لا .. لست أظن للأمر علاقة بكما ، بل لابد أن لديهم

بعض المعلومات ، عن عملية تهريب مخدرات ، أو ما شابه ..

وغالبًا ما يكون تشديد الإجراءات مؤقتًا .. لقد اعتدنا هذا

من حين إلى آخر .

هتفت الفتاة في حدة :

— أيًا ما كان الأمر ، أريد مغادرة هذا المكان بأقصى

سرعة .

أجابه الشيخ في حسم وصرامة :

— العجلة والانفعال هما أفضل عاملين لسقوطكما .. لقد

طلبنا مني مساعدتكما ، فأتركا الأمر كله لي إذن و ...

بتر عبارته بغتة ، وأشار إليهما بالصمت ، ثم أسرع يطفى

مصباح المكان ، ويرهف سمعه في انتباه ، حتى سمع الثلاث

الطرقات الخافتة على الباب ، فشهر الشاب مسدسه في توتر ،

وقال الشيخ (جاسم) في صرامة :

— من ؟

أجابه صوت خافت :

— افتح يا شيخ (جاسم) .. أنا (نعمان) .

قال الشيخ (جاسم) مهدئًا من زوع الأجنبيين :

— اطمئنًا .. إنه أحد رجالي .

ثم فتح الباب ، فذلف منه شاب أسمر نحيل ، همس في أذنه

ببضع كلمات ، ارتسم لها القلق على وجه الشيخ (جاسم) ،

ثم أشار للشباب بالانتظار خارجًا ، فسأله الفتاة في توتر :

— أحدث شيء ؟

أجابه في حسم :

— يبدو أنهم قد علموا بوجودكما في (أسوان) ، فرجالي

يقولون إن ضابطين من (القاهرة) وصلا إلى هنا ، ويجريان

تحرياتهما بشأنكما .

هتف الفرنسي :

— هذا يجعل سرعة فرارنا حتمية .

الشيخ (جاسم) :

— ليست الأمور بهذه البساطة .

قاطعت الفتاة في عصية شديدة :

— فلتذهب أمورك إلى الجحيم .. نريد أن نغادر هذا المكان

على الفور ، أيّاما كانت المصاعب .

تفكّر الشيخ قليلاً ، ثم قال :

— أيمكنكما السفر عن طريق النهر ؟

سيلقانا :

— كيف ؟

الشيخ (جاسم) :

— هناك سفينة شحن صغيرة ، ستقلع غذا إلى (وادي

حلفا) نهراً ، ولكن الرحلة غير مأمونة و ...

قاطعت الفتاة في حزم :

— إننا نوافق ..

الشيخ (جاسم) :

— حسناً .. سأتفق مع صاحبها الليلة .

أمسك الشاب ذراعه ، قائلاً :

— أتنق فيه جيّداً ؟

انتزع الشيخ ذراعه منه في حدة ، وقال في غضب :

— لست أتعامل مع من لا أمنحهم ثقتي أيّها الشاب ..

وانصرف كما أتى .

في صمت ..

انطلقت سيارة (جيب) ، يقودها أحد الجنود ، عبر

مناطق وغرة ، في جنوبي (أسوان) ، حتى بلغت مقصدها ،

وبدت لها أشجار النخيل ، والأبنية التويّنة ، ذات الأحواش

المتسعة ، والأعمدة الفرعونية الطراز ، والتفت (ممدوح) إلى

صديقه في المقعد الخلفي ، وقال في أسف :

— معذرة يا صديقي ، أعلم أنها رحلة مرهقة للغاية بالنسبة

لك ، ولحالتك الصحيّة .. ولكنك تعلم أن وجودك معي

ضروري لتعرّف الفتاة .

قال (رفعت) مبتسماً :

— لا بأس .. إن حالتي طيّبة ، والمهم أن تأتني رحلتنا

بالفائدة المرجوة منها .

قال سائق السيارة لـ (ممدوح) :

— هاهي ذى منطقة الشيخ (جاسم) وعائلته .

ممدوح :

— هل الأنباء التي حصلنا عليها صحيحة ؟

أجابه السائق :

— الكل هنا يعلم أن الشيخ (جاسم) وعائلته تخصصوا

في عمليات التهريب ، عبر الحدود المصرية السودانية .. ولكن هذا الشيخ من الذكاء ، بحيث لم يتم إثبات ذلك عليه ، أو إلقاء القبض على أحد رجاله متلبسًا .

تطلع (ممدوح) إلى (رفعت) ، قائلاً :

— لو صحَّ تقديري ، فمن ائتمَّ أن هذا الشيخ يعلم الكثير

عن الفتاة والشاب .

رفعت :

— المهم ألا يكون قد نجح في تهريبهما إلى (السودان)

بالفعل .

ممدوح :

— بل المهم هو أن نجد لديه طرف خيط يقودنا إليهما ،

وبعدها نقرر ما يجب أن نفعله ، وسنتظرنى هنا ، حتى أعود

إليك .

رفعت :

— بل سأتى معك .

ممدوح :

— لست فى حالة تسمح لك بذلك .

انتزع (رفعت) مسدسه من غمده ، وقال فى حزم ، وهو

يغادر السيارة :

— لسنأ بصدد المناقشة أو التفاوض .

انتزع (ممدوح) مسدسه بدوره ، قائلاً :

— فليكن .

ثم التفت إلى السائق ، مستطردًا :

— انتظرنا هنا ، حتى نعود إليك .

تلقت السائق حوله فى خوف ، وهو يقول :

— لحذا الحذر جيّدًا ، فالشيخ (جاسم) ورجاله

لا يسمحون للغرباء بالاقتراب من ديارهم ، وهم يشتهرون

بالقسوة والشراسة ..

وبينما كانوا يتحدثون ، كان هناك رجل يراقبهم ، من فوق

إحدى شجرات النخيل .. ولم يكده يلمح (ممدوح)

و (رفعت) يقتربان ، حتى أعطى إشارة خاصة لرجل يجلس

في نافذة أحد المنازل ، فالتفت بدورها إلى الشيخ (جاسم) ،
الذى جلس فوق عدد من الوسائد ، وقال :
— غرباء قادمون .

راح الشيخ يعدّ لفافة تبغ في هدوء ، وهو يقول في
لامبالاة :

— أنتم تعرفون وسيلة استقبالهم .
طرق (ممدوح) باب المنزل بعد لحظات ، ففتح له أحد
الأشخاص الباب ، وهو يرتدى الزي الثوبى المميز ، وقال
له (ممدوح) :

— نريد مقابلة الشيخ (جاسم) .. أهو هنا ؟
لم يجب الرجل على الفور ، بل تفحصهما في إمعان ، قبل
أن يقول في برود :
— تفضّلا .

وهمس (ممدوح) في أذن (رفعت) ، وهما يجتازان الفناء
خلف الرجل :

— ألم تلاحظ أنه بدا كما لو أنه ينتظرنا ؟
غمغم (رفعت) في قلق .
— نظراته أيضا لا تبعث على الارتياح و ...

بتر عبارته بغتة ، عندما لاحت منه التفاته إلى أعلى ، وهتف
في جزع :

— (ممدوح) .. احترس .
وقبل أن يدرك (ممدوح) ما يعنيه ، انقضّ عليه شخص
من أعلى ، فسقط تحت ثقل خصمه ..
واندفع رجلان آخران نحو (رفعت) ..
وكان استقبالاً رهيباً بحق ..



١١ — مطاردة عَبرَ الجبال ..

لم يكد (ممدوح) يسقط تحت ثقل ذلك الرجل ، حتى اندفع رجلان من خلف أعمدة الفناء ، وانقضّا على (رفعت) ، ووضع أحدهما سكينًا على عنقه .. ولكن (ممدوح) استعاد سيطرته على نفسه بسرعة ، فدفع قدميه في معدة غريمه ، وحمله ليلقيه خلفه ، وقفز الاثنان على أقدامهما في آن واحد ، وركل الرجل (ممدوح) في ذقنه ، فاصطدم بأحد الأعمدة ، وحاول (ممدوح) أن يلتقط مسدّسه الذي سقط أرضًا ، ولكن الرجل الذي يهذد (رفعت) بسكينه صاح به :

— ألق مسدّسك أرضًا ، لو أردت أن يحتفظ صديقك بعنقه .

تظاهر (ممدوح) بالطاعة ، فأبعد يده عن الزناد ، وأمسك ماسورة المسدّس ، وكأنه يهيم بإلقائه أرضًا ، ولكنه ضغط زرًا صغيرًا في حافة الماسورة ، فانكشفت فيها فجوة صغيرة ، انطلقت منها كُرة معدنية ، ارتطمت بجهة الرجل الممسك بالسكين ، فسقط على الأرض ، إلى جوار سكينه ..



وقبل أن يدرك (ممدوح) ما يقنيه ، انقضّ عليه شخص من أعلى ، فسقط تحت ثقل خصمه ..

ولم يكذب (رفعت) يتحرر ، حتى انقض على الرجل الآخر ،
وقبض على ساعده ، وأطاح به أرضاً ، بحركة (جودو)
بارعة ..

ولم (ممدوح) ثلاثة آخرين ، يتقدمون من الجهة
المقابلة ، فهتف به (رفعت) :

— اهرب بسرعة .. هناك آخرون .

وثب الاثنان وثبة واحدة ، وتعلقا على أثرها بحافة السور
المطل على الفناء ، ثم تسلقاه في سرعة ، والرجال يطاردونهما ،
ولكنهما أخذا يغدوان فوق السور ، حتى قفزا إلى سيارة
(الجيب) ، التي أدار سائقها محركها ، وانطلق بها على
الفور ..

واندفع أحد رجال الشيخ (جاسم) إليه ، هائفاً :

— لقد هرب الغريبان .

انزعج الشيخ ، وهو يهتف :

— كيف حدث هذا ؟

قال الرجل :

— كانا مسلحين ، وكانت هناك سيارة (جيب)

تنتظرهما .

صاح الشيخ (جاسم) :

— إنهما من رجال الشرطة .. مُر الجميع بمطاردتهما ..
لا أريد أن يعودا إلى المدينة على قيد الحياة .

قال سائق سيارة (ممدوح) و (رفعت) ، وهو يلوح
السيارة التي تطاردهم في إصرار :

— إنهم يطاردونا .

ممدوح :

— أعلم ذلك .. زد في سرعتك ، حتى نسبقهم إلى منطقة
المعابد الفرعونية .

قال السائق في دهشة :

— ولكن تلك المنطقة تؤدي إلى الجبل ، ويمكنهم محاصرتنا
هناك .. لم لا نستخدم الطريق الشرقى ؟ .. إنه يؤدي إلى
الطريق الممهّد للمدينة .

ولكن (ممدوح) قال في لهجة أمرة :

— بل اتجه إلى أرض المعابد .

سأله (رفعت) :

— ألدبك حُطَّةً مَعِينَةً ؟

ممدوح :

— الطريقة التي استقبلنا بها أتباع الشيخ (جاسم) ، تدلُّ
على أننا نسلك الطريق الصحيح ، وعلى أنهم يخشون شيئاً ،
ولاريب أن لهذا الشيء صلة باختفاء الفتاة والنقود .

رفعت :

— ولكن هؤلاء الرجال يتوجَّسون خيفة من كل الغرباء .

ممدوح :

— ليس إلى حدِّ مهاجتنا على هذا النحو ، دون السؤال
حتى عن غرضنا من زيارتهم .

رفعت :

— وما الذي تنوى فعله ؟

ممدوح :

— لقد أرسل (جاسم) رجاله لاصطيادنا ، وسأستغلُّ أنا
منطقة المعابد لاصطيادهم .

رفعت :

— وماذا بعد ؟

ممدوح :

— سنجبرهم على أن يخبرونا بما يخفيه شيخهم .

اجتازت السيارة أرض المعابد ، وقد خُفِّفَ السائق من
سرعتها ، ليعبر المنطقة الضيقة بين المعابد . وتبعته سيارة رجال
(جاسم) ، حتى وصلوا إلى نقطة بين عمودين رخاميين ،
وجدوا فيها سيارة (ممدوح) و (رفعت) خالية ، فتوقَّفوا ،
وزاحوا يتلفتون حولهم في خيرة ، بحثاً عنهما ، وقال أحدهم :
— غادروا السيارة ، واجتثوا عنهم في المعابد .

ولكن قبل أن يتحرَّك أحدهم قيد أنملة ، برز (ممدوح)
و (رفعت) فجأة ، وصوباً إليهم سلاحيهما ، ومعهما سائق
السيارة ، وقال (ممدوح) في صرامة :

— لو من أحدكم سلاحه ، ستتاله رصاصة على القور ..
القوا أسلحتكم ، وارفعوا أيديكم .

أطاعوا منصاعين ، فابتسم مستطرداً في حزم :
— والآن .. سيدور بيننا حديث قصير .. حديث عن
شيخكم .

امتطى الشيخ (جاسم) وأحد أعوانه جليئين ، وقال الشيخ
لتابعه :

— هل فحصت الحقيبة جيدًا ؟

أجابه الرجل :

— نعم .. لم يكن بها سوى ما أخبرتك به .. فقط مجموعة من الثياب .

تفكر الشيخ قليلاً ، وقال :

— لست أدرى لم يساورنى الشك فى أنها تحوى ما هو أكثر
سأله التابع :

— ما الذى يدعوك إلى الشك ؟

الشيخ (جاسم) :

— الذين يدفعون مبلغاً كبيراً ، كهذين الأجنيبين ، مقابل تهريبهما عبر الحدود ، لابد أنهما يحاولان تهريب شيء ذى قيمة تستحق كل هذه المخاطرة .

أجابه الرجل :

— ولم لا تكون رغبتهما فى الفرار نابعة من ارتكابهما جريمة ما ؟

الشيخ (جاسم) :

— لقد تحرّيت عن ذلك ، وأكدت تحرّياتى عدم حدوث ذلك .

سأله الرجل :

— ربّما هما من مهرّبي المخدرات .

الشيخ (جاسم) :

— لقد تصوّرت ذلك فى البداية ، ولكنك تؤكد أن الحقيبة لا تحوى سوى الثياب .

وصمت قليلاً ، ثم استطرد وكأكما تنبه إلى شيء ما :

— أليس من المحتمل أن الحقيبة تحوى شيئاً سريّاً ؟

هتف الرجل فى دهشة :

— جيب سريّ ؟! .. لم أفكر فى هذا أبداً .. وما الذى يمكن عمله الآن ؟

أخرج الشيخ من تحت عباءته زجاجة خمر ، وقال :

— عندما نصل إليهما سنحتفل احتفالاً قصيراً ، بمناسبة

نجاحنا فى الاتفاق على تهريبهما عبر النهر ، إلى (وادى

حلفا) .. وبعد الاحتفال سيكونان مغمورين تماماً ، وعندئذ

نستولى على حقيبتيهما ، ونفتش جيوبها السريّة ، حتى ولو

مزقناها بالخناجر ، فإذا ما تحقّق ظنّى ، سنقتلهما ، ونستولى

على حقيبتيهما .

سأله الرجل :



ودفع (مدوح) الباب بقوة ، وقفز خلفه (رفعت) ، وبدد ضوء مصباحيهما الظلمة ، ليسقط على وجه الفتاة الإيطالية ..

— وماذا لو أن الحقيقة لا تحوى شيئاً ؟
ضحك الشيخ ، قائلاً :

— عندئذ سأقاضي منهما باقى المبلغ ، كما اتفقنا من قبل ..
وأنت تعلم سمعتى .
وأطلق ضحكة أخرى ، مستطرذا :
— كرجل يحترم كلمته .

تسلل (مدوح) و (رفعت) ، عبر ممر جلى ، إلى ذلك المنزل ، الذى تختفى فيه الإيطالية وخطيبها .. وعندما امتدت يد الأول إلى مقبض الباب ، التصقت بها مادة لزجة ، صوب إليها خيط الضوء ، من مصباحه اليدوى الرفيع ، فأدرك سر تلك المادة على الفور ..
— كانت دماً ..

ودفع (مدوح) الباب بقوة ، وقفز خلفه (رفعت) ، وبدد ضوء مصباحيهما الظلمة ، ليسقط على وجه الفتاة الإيطالية ، ووجهى جثتين وسط بركة من الدماء ..
وهتف (رفعت) مصدوماً :

١٢ — سِرُّ الحَقِيقَةِ ..

كانت تلك الجئة التي استيقظت هي الفتاة ..

استيقظت هاتفة في صرامة :

— إِيَّاكَ أَنْ تَمْسُهَا .

ابتسم (ممدوح) ، واعتدل قائلاً لزميله :

— عجباً !! ... يبدو أن صديقتنا الإيطالية الحسنة تتشبث

بالحياة ، وبالحقيقة .

هبت الفتاة واقفة ، ووجدتُهما بنظرات نارية ، وهي تقول

في شراسة :

— هذه النقود ملكي ، وسأقتل أى مخلوق يمسّها .

أجابها (ممدوح) في حزم :

— هذه النقود أصبحت ملكاً للدولة .. لقد دخلتها بغرض

استخدامها في أعمال تخريبية ، ومن حقّ الدولة مصادرتها ،

بعد إلقاء القبض على الإرهابيين ، ونحن نعلم أنه لا علاقة لك

بتلك المنظمة ونشاطها ، ومن مصلحتك تسليمنا النقود ، حتى

لا يزداد تورطك في الأمر .

التفت أصابع الفتاة حول مقبض المسدس ، وهي تقول في

حدة .

— يا إلهي !! ... إنها هي !

أشار (ممدوح) إلى الجثث الأخرى ، هامساً .

— يبدو أنها ضمن ضحايا مذبحه وحتية .

وعلى الرغم من خدعتها له ، لم يستطع (رفعت) إخفاء

تأثره لمصرع الإيطالية ، في حين أدار (ممدوح) ضوء مصباحه

إلى ركن آخر ، قائلاً :

— يبدو أنها ليست آخر الضحايا .. هناك جثة أخرى في

الركن .

تطلّع (رفعت) إلى الجثة ، وقال :

— إنه الفرنسي ، خطيب الفتاة .. وهذه الحقيقة إلى جواره

تشبه حقيبتى .

مدّ (ممدوح) يده إلى الحقيقة ، ثم تراجع في دهشة .

لقد استيقظت جئة ..

استيقظت تصرّب إليه مسدسها في صرامة ..

— هذه النقود تساوى حياتى الآن .. لقد بذلت جهداً
جائزاً ، وتضحيات كثيرة للحصول عليها ، ولن يعدنى عنها
سوى الموت .

قال (ممدوح) ، محاولاً استدراجها إلى الحديث ، حتى
لا تقدم على تصرف أهوج ، فى حالتها المستيرية هذه :
— أمِنَ أجل هذا قتلت هؤلاء ؟
أجابته وجسدها يرتعد :

— نعم .. لقد أراد (جاسم) وتابعه الاستيلاء على
النقود ، وحاول أن يسكرنا ، ليستولى على الحقيقة ، وعندما
أدركنا غرضه ، انقضَّ على خطيبى ، وطعنه بخنجره ، ولم
أحتمل رؤيته يسقط أمامى جثة هامدة ، مضرباً فى دمائه ،
فاختطفت مسدسه ، وأطلقت النار على (جاسم) وتابعه ،
واحتفظت بباقي الرصاصات لمن تسوَّل له نفسه لمس النقود .
حاول (رفعت) أن يهدئ من تأثيرتها ، قائلاً :

— (سيلقانا) .. اسمعنى جيِّداً .. إنك لن تفلحى فى
الهرب بهذه النقود ، فلا تحاولى توريط نفسك أكثر .
واقترب منها فى خدر ، مستطرداً :

— إننى أعلم جيِّداً أنك تختلفين عن أولئك المجرمين ، وأقدر

الظروف الصعبة ، التى مررت بها ، ولكنَّ الفرصة لم تفلت
بعد .

هتفت الفتاة ، وهى ترتجف انفعالاً :
— لا تحاول الاقتراب منى ، وإلا أطلقت عليك النار .
ولكن (رفعت) لم يتراجع ، بل واصل اقترابه منها ،
فضغطت الفتاة زناد مسدسها فى جثة .. وقفز (ممدوح) نحو
زميله ، وأبعده عن مرمى النيران ، ثم جذب الفتاة من ساقها ،
وأخلَّ بتوازنها ، وسرعان ما أطبق بقبضته على معصمها ،
ليخول بينها وبين تصويب رصاصة أخرى إليه ، ولكنها أطلقت
الرصاصة بالفعل ، فصاح بها (ممدوح) ، وهو يحاول حثها
على الاستسلام ، دون أن يضطر إلى إيذاها :
— ها قد فقدت رصاصتك الأخيرة ، فلا داعى إلى مزيد
من العناد .

أرخت الفتاة أصابعها ، وتركت المسدس يسقط ، ثم
انخرطت فى بكاء هستيرى ، فى حين تناول (ممدوح)
المسدس ، وهو يساعدُها على النهوض ، ووقف (رفعت)
ينفض التراب عن ثوبه ، وتناول (ممدوح) الحقيقة ،
وفتحها ، ثم مدَّ يده إلى الجيب السرى ، وأبرز النقود
لـ (رفعت) ، قائلاً :

— هاهو ذا سرُّ (الحقيبة الزرقاء) الخفى .

ولكن (رفعت) لم يهتم كثيراً بما تحويه الحقيبة ، إذ بدا متعاطفاً مع الفتاة ، وهو يُقدِّم إليها منديله ، لتجفّف به دموعها ، ثم يلتفت إلى (ممدوح) ، قائلاً :
— أظن أنه آن أوان العودة و ...

أشار إليه (ممدوح) أن يصمت ، ثم أشار إلى الخارج ، وأطفاً مصباحه ، هامساً :

— اسمع وقع خطوات في الخارج .
حاول (رفعت) أن يقول شيئاً ، ولكن (ممدوح) استطرد في حزم :

— نَحْذُ (سيلفانا) ، وابتعد بها عن الباب .
أطاعه (رفعت) على الفور ، في اللحظة التي فُتح فيها الباب فجأة ، ليظهر على عتبة رجل يحمل مدفعاً آلياً ، فسُلِّط (ممدوح) ضوء مصباحه اليدوي على وجه الرجل بغتة ، وأرداه قتيلاً برصاصة من مسدّسه ، قبل أن يضغط زناد مدفعه ...

وصرخت (سيلفانا) عندما انفتحت النافذة على مصراعيها ، وقفز منها شخص آخر ، حاملاً سلاحه بدوِّره ،

ولكن (رفعت) أرداه قتيلاً ، وبدا من خلفه رجل ثالث ، ألقي نظرة على المكان ، ثم تراجع سريعاً ، وراح يصرخ :
— لقد قتلوا الشيخ (جاسم) .. لقد رأيته قتيلاً في الداخل .

تعالّت أصوات ثائرة في الخارج ، واندفع رابع نحو المنزل ، على نحو انتحاري ، وهو يطلق النار من سلاحه في إصرار ، فانبطح الثلاثة أرضاً ، وأطلق (ممدوح) رصاصة ، أصابت الرجل في ساقه ، فسقط ومدفعه إلى جواره .. وقبل أن يعاود التقاطه ، قفز (ممدوح) واختطف المدفع ، وصوّبه إلى الرجل ، قائلاً في صرامة :

— كم عددكم بالخارج ؟

لم يجيب الرجل ، فكرّر سؤاله في صرامة ، جعلت الرجل يجيب في حدة :

— أكثر مما يمكنك أن تحصيه .. لن نتاح لكم فرصة واحدة للنجاة .. إننا سنتقم للشيخ (جاسم) .. سنتقم له مهما حدث .

تطلّع (مدوح) إلى (رفعت) في قلق ، وقال :

— يبدو أننا قد أصبحنا محاصرين .

ارتفع صوت من الخارج يقول :

— استسلموا أيها الغرياء .. أنتم محاصرون من كل جانب ،

استسلموا وإلا أحرقناكم بالداخل أحياء .

رفعت :

— لن يتوّدوا في تنفيذ تهديدهم .

مدوح :

— أعرف ذلك .. ولكن النتيجة لن تختلف كثيرًا ، سواء

خرجنا إليهم أو بقينا في الداخل .. فسيقتلوننا حتمًا .

رفعت :

— وهل نقف مكتوفي الأيدي ؟

مدوح :

— الأمر يحتاج إلى مخاطرة انتحارية .

رفعت :

— أنت تعرف أنني مستعد دومًا لأي نوع من أنواع

المخاطر ، ولكن (سيلفانا) ...

قاطعه (مدوح) :

— ليس هناك بديل آخر .. إنها متورّطة منذ البداية .

قالت الفتاة :

— سأفعل أي شيء ، إلا أن أقف هنا في انتظار الموت .

رفعت :

— ما خطّبتك يا (مدوح) ؟

مدوح :

— سأحاول الوصول إلى (الجيب) في الخارج ، ثم

أستخدمها لنهرب من الحصار بأي ثمن .

رفعت :

— ولكنها محاولة جنونية ، وليست انتحارية .. فلن يسمح

لك من في الخارج بالوصول إلى السيارة ، بأي حال من

الأحوال ، فمجرد الخروج من هنا يغني الموت المحتم .

مدوح :

— سألعب على وتر أطماعهم ، وسنضحي ببعض النقود ،

مقابل النجاة .

رفعت :

— لست أفهم .

مدوح :

— ليس لدى الوقت للشرح .. أعلم أن نسبة النجاة لن تتجاوز الواحد في المائة ، ولكنني سأراهن عليها .
ارتفع الصوت الأجش من الخارج مرة أخرى :
— أنتم اخترتم طريق موتكم .. سنحرق المنزل .
الصق (ممدوح) ظهره بجدار قريب من الباب ، وهتف :
— أنتم تجاوزون بخسارة رهية ، فلو اشتعل المنزل ، فستحرق خمسة ملايين دولار داخله ، ويمكنكم أن تحصلوا عليها بالتفاوض .

تطلع أحدهم إلى الآخر في الخارج ، وقال :
— إنه يتحدث عن خمسة ملايين دولار .
قال الآخر في غضب :

— إنه يحاول خداعنا .. دغنا نقضى عليهم
عاد (ممدوح) يهتف ، وقد لاحظ ترددهم :
— سأثبت لكم صحة حديثي .

والتقط رزمة من أوراق النقد ، وألقاها من النافذة .. ولم يكذب يفعل حتى تخلى بعض الرجال عن أماكنهم ، وراحوا يسعون لالتقاط النقود ، في حين هتف أحدهم في غضب :
— أأعمتكم رؤية النقود عن الانتقام لشيخكم ؟

ولكن الشيخ (سعيد) ، قال لرجالهِ في صوت يحمل رنة خبث :

— ومن قال إننا لن نتقم لشيخنا ؟ .. أيوجد ما يمنع من الحصول على الثروة أولاً ، ثم الانتقام ؟ .. أليس من المؤسف أن نحرق بأيدينا خمسة ملايين دولار ؟
أجابه الرجل في غضب :

— ما أدراك أنهم يملكون تلك الدولارات ؟ .. أليس من المحتمل أن تلك الحفنة التي ألقوها ، هي كل ما يملكونه ؟
أجابه الشيخ (سعيد) :

— وما أدراك لو أنهم يملكونها بالفعل ؟ .. إننا نسيطر على الأمر تمامًا ، وسواء كانت النقود معهم أم لا ، فلن يمكنهم الإفلات من بين أيدينا .
هتف الرجل :

— فلنهاجم المنزل بالأسلحة إذن ، بدلاً من النيران .
أطلق الشيخ (سعيد) زفرة قوية من صدره ، وقال :
— ولم المخاطرة ؟ .. ألم تر ما أصاب الرجال الثلاثة ، الذين حاولوا اقتحام المكان من قبل ؟ .. هؤلاء الرجال في الداخل يجيدون إطلاق النار ، ولست أرغب في المزيد من الخسائر ..

دعنى أدير الأمر بأسلوبي ، وسأحصل على نقودهم .
وأقتلهم ، دون أن نخسر رجلاً واحداً من رجالنا .
ثم عاد ليتهف في صوت مرتفع ، دون أن يترك لزميله فرصة
للتفكير أو المناقشة :

— اسمعوا يا من بالداخل .. لقد أمرت رجالي بالتمهل ، قبل
إشعال النار ، فليخرج أحدكم مع الحقيبة .
هتف (ممدوح) :

— سأخرج دون الحقيبة ، لتفاوض أولاً .
صاح الشيخ (سعيد) :
— حسناً .. سأسمح لك بالخروج .
ممدوح :

— أريد سيارة (الجيب) الخاصة بنا ، على بعد مترين من
المنزل ، ومحركها دائر لنغادر أنا وزميلاي المكان ، بعد
تسليمكم النقود .

هتف الشيخ (سعيد) :
— لك ما تريد .. شريطة أن تخرج أعزل .
ممدوح :
— فليكن ، ولكن يُنفذ شرطى أولاً .

أشار الشيخ (سعيد) إلى رجاله ، لتنفيذ ما طلبه
(ممدوح) ، قائلاً في لحبث :
— لن يتحرك بها متراً واحداً ، ولكن فليسمع صوت
محركها ، لو أن هذا يسعده .
وفي الداخل ، تطلع (رفعت) إلى (ممدوح) ، قائلاً في
قلق :

— إنها مجازفة كبرى ، خاصة وأنت ستخرج إليهم أعزل .
طمأنه (ممدوح) ، قائلاً :
— لقد اتفقنا منذ البداية على قبول المجازفة ، ولا تنس أن
سيارتنا ليست عادية ، ولست أهتمّ بالتسلح ، بقدر ما أهتمُّ
بما تحويه سيارتنا .
رفعت :

— أرجو أن يكون العريف (أحمد) ، سائق السيارة ، قد
نجح في الاتصال بقوات حرس الحدود ، وأن يصلوا في الوقت
المناسب .

أجابته (ممدوح) في ثبات :
— لسنا نعمل بالأمنيات يا رجل ، بل بالوقائع .
تناهى إلى مسامعهم صوت محرك سيارتهم وهي تقترب ،

حتى صارت على بعد مترين من المنزل ، وإلى جوارها وقف
الشيخ (سعيد) ، واثنان من أعوانه ، فقال (ممدوح) :
— اقتربا من الباب ، ولا تترددا لحظة واحدة .
كانت الفتاة تبدو مرتبكة متوترة ، فسألها في حزم :
— أتفهمين ؟

أومأت برأسها في توتر ، فغادر (ممدوح) المنزل إلى
السيارة ، حيث قام رجلا الشيخ (سعيد) بتفتيشه ، وهو يدير
عينيه في المكان ، ليحصى عشرات من الرجال ، يحملون
المشاعل ، والأسلحة النارية ، وقال الرجلان للشيخ (سعيد)
بعد أن انتبها من تفتيشه :

— إنه لا يحمل سلاحا .

الشيخ (سعيد) :

— حسنا .. ما شروطك .

ممدوح :

— اسمحوا لزميلي بمغادرة المكان بالسيارة ، ثم أسلمكم
حقيبة النقود .

الشيخ (سعيد) :

— لا .. الحقيبة أولا .

ممدوح .

— وكيف أضمن أنكم لن تقتلونا ، فور حصولكم على
الحقيبة ؟

الشيخ (سعيد) :

— ليس لديكم ضمان ، في هذه الحالة ، سوى كلمتي .

تظاهر (ممدوح) بالتفكير قليلا ، ثم قال :

— حسنا .. يبدو أنه لا مناص من ذلك ، ولكن هل يمكنني
فحص السيارة أولا ؟ .. أحب أن أتأكد أنها صالحة للسير .

الشيخ (سعيد) :

— لك هذا .

تظاهر (ممدوح) بفحص الإطارات ، ثم فتح الغطاء
الأمامي ؛ ليلقي نظرة على انحرّك ، ومدّ يده خفية بحركة
سريعة ، فأدار زرا خفيا ، وهو يتطلّع إلى ساعته ، ثم أعاد
إغلاق الغطاء ، وقال :

— حسنا .. كل شيء على ما يرام .. سأحضر النقود .

قالها وهو يدير ظهره للسيارة ، ويواجه الشيخ (سعيد)

ورجليه ، ليخول بينهم وبين رؤية ما طرأ على السيارة ، إذ
دارت مصاييحها حول نفسها ، وتركت فيها فجوتين ،

تحرّكت داخلهما ماسورتان كالمضخات ، وتطلّع (ممدوح)
إلى ساعته ، ثم قال في حزم :
— والآن .

وقفز جانبًا ، في نفس اللحظة التي انطلق فيها لسانان من
النار ، من المضختين ، والتهما الشيخ (سعيد) ومعاونه ، في
حين تجمّد الثالث في رُعب ، فانقضّ عليه (ممدوح) ، ولكمه
في قوّة ، فأطاح به بعيدًا ، وقفز إلى السيّارة ، قبل أن يضيع
عنصر المفاجأة ، وانطلق بها ليقترحم المنزل ، الذي انهالت عليه
عاصفة من الرصاصات والبيران ، وصاح بزميله والفتاة ،
يطلب منهما القفز إلى السيّارة ، فوثبا إليها ، والتقط هو قبلة
يدويّة خفية ، من مكان سرّي بالسيّارة ، وانزع صمام أمنها ،
وألقاها على الرجال ، فانفجرت وسطهم ، وهو ينطلق
بالسيارة إلى الجبل ..

وفجأة .. أطلقت الفتاة صرخة ، ثم سقطت كالحجر ،
وقد أصابت رصاصة رأسها ، وراح (رفعت) يُطلق النار في
كل الاتجاهات ، بمدفع آلي استولى عليه ممّن حاولوا اقتحام
المنزل في البداية .. ولكن المدفع سقط من يده ، إثر رصاصة
أصابت كتفه ، وتناول (ممدوح) قبلة أخرى ، ألقاها نحو
الرجال الذين حاولوا اعتراض طريقه ...



ومدّ يده خفية بحركة سريعة ، فأدار زرّاً خفيّاً ، وهو يتطلّع إلى ساعته .
ثم أعاد إغلاق الغطاء ..

وفجأة .. ارتفع هدير مراوح ثلاث طائرات هليو كوپتر ،
حلقت فوق المنطقة الجبلية ، فبادر اللصوص بالفرار ، وقد
أدركوا أنهم قد خسروا الجولة ، والمعركة كلها ، إذ كانت
الطائرات تحمل شعاراً مخيفاً .
شعار سلاح حرس الحدود ...

جلس (ممدوح) و (رفعت) ، في حجرة اللواء
(مراد) ، في إدارة العمليات الخاصة ، يتلقيان التهنئة من
رئيسهما ، بالسلامة والنجاح ، وهو يقول لـ (ممدوح) :
— لقد أديت المهمة على أكمل وجه يا (ممدوح) ،
وستحصل مع (رفعت) حتماً على إجازة ، تعوّضان بها
ما عانيتاه .. ولكنني مازلت أجهل كيف عرفت الفتاة بأمر
الحقيقة .

ممدوح :

— سأترك لـ (رفعت) مهمة شرح ذلك ياسيدى .

رفعت :

— لقد أخبرتني الفتاة في أثناء حصار المنزل ، أن شقيقها
يعمل في مخابرات (لوتشيا) ، وأنه أفشى لها بالسّر ، وهو

مخمور ، وأطلعها على الحقيقة ، التي يعدونها للاستبدال ، مع
حقيتي ، وعندئذ تفتق ذهنها عن تلك الحطة الجهنمية ، لتحقق
خلمها في الزواج من خطيبها الفرنسي ، فصنعت حقيقة مماثلة ،
واستخدمتها لخداع الجميع .

اللواء (مراد) :

— كانت حطة جهنمية بالفعل .

ممدوح :

— لقد أفادتنا هذه اللعبة ياسيدى ، إذ قادتنا لكشف
أخطر منظمة إرهابية في (مصر) ، وواحدة من أخطر
عصابات التهريب عبر الحدود السودانية .

ضحك اللواء (مراد) ، قائلاً :

— أضف إلى ذلك أنها قد أهدت إلينا اثنين من أخطر رجال
مخابرات (لوتشيا) .

وأطلق (ممدوح) ضحكة بذوره ، قائلاً :

— وخمسة ملايين دولار ياسيدى ، وهي صفقة رابحة ..
صفقة أهدتها إلينا حقيقة (رفعت) .. (الحقيقة الزرقاء) ..

[تمت بحمد الله]

المؤلف



١ - شريف شوقي

الحقيبة الزرقاء

وتشب بين الرجلين صراع رهيب ،
حال دون سيطرة القائد على عجلة
القيادة ، فاندفعت السيّارة على غير
هدى ، وانطلقت نحو جدار ضخم من
الأسمنت المسلح ..

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات
بوليسية للشباب
من الخيال العلمي



العدد القادم

المصنع السري



التمن في
مصر

قروش جنية

سروء
الامريكي
في مائت
الدول
العربية
والعالم